وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵣⵖⵉⵙⵙⵏⵙⵏⵜⵙⵏⵏⵣⵡⵙⵏⵔⵣⵙⵙⵏⵙⵙ

ⵜⴰⵙⴷⵓⵣⵜⵏⵜⵙⵏⵙⵏⵓⵜⵔⵜⵏⵜⵙⵙⵙⵙⵙ

جامعة مولود معمري – تيزي – وزو

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب.....

الرقم التسلسلي.....

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI–OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et littérature Arabes

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: لغة وأدب عربي

التخصص: دراسات بلاغية

العنوان

التمثيل في البلاغة العربية

الإشراف :

أ.د/حورية بن سالم

إعداد الطّالبتين:

– ليليا حاج سعيد

– رزيقة حمداني

لجنة المناقشة

أ/قوراري شعذيت، أستاذة مساعدة،جامعة مولود معمري تيزي..... رئيسا

أ.د/حورية بن سالم، أستاذة التعليم العالي،جامعة مولود معمري تيزي.....مشرفا ومقررا

أ/عمي ليندة، أستاذة مساعدة، جامعة مولود معمري تيزي.....ممتحنا

الدورة الثانية: 2016

قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَة كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتَى أُكُلَهَا كُلَ حِينْ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونْ﴾

—سورة إبراهيم—

الآيتين:(24-25)

كلمة شكر وتقدير

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

جميع أساتذتنا الأفاضل

وأخص بالتقدير والشكر

المشرفة: الأستاذة الدكتورة حورية بن سالم التي قدمت لنا العون ومد لنا يد المساعدة لإتمام هذا البحث فجزاها الله عنا كل خير فلها منا كل التقدير والاحترام.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أعز ما أملك في هذه الحياة أمي الغالية التي خفضت جناحيها لي وأنا صغيرة والتي زرعت في قلبي الإرادة وكستني ثوب العزيمة ومعطف الحب والحنان دون أن أنسى أبي رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان

وكلمة شكر لأخويّ (أحمد، سعيد) الذيْن لطالما اعتبرناهم مثالا لنا في الأخلاق قبل العلم وأخواتي (نادية، صليحة، وأولادهما خاصة الكتكوت الصغير **غيلاس** الذي أحبه كثيرا)

إلى زوجي العزيز الذي ساهم في مساعدتي وتشجيعي في مشواري الدراسي والذي كان بمثابة الأب والأخ والصديق.

إلى كل صديقاتي اللواتي عرفتهن في حياتي إلى من قاسمتني في إنجاز هذا البحث "ليليا"

إلى كل مسلم ومسلمة

وإلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رزيقة

إهداء

إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة وحتى بعد الموت، إلى معنى الحب الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة التي فقدتها وأنا في سن المراهقة حتى أنني لم أشبع منها، ومن حنانها كم تمنيت أن تكون اليوم لتحضر وترى الثمار التي لطالما انتظرتها ولتفتخر بي أمي العزيزة رحمك الله وسكنك جنة الفردوس آمين.

إلى من بها أكبر وعليها اعتمد... إلى شمعة مشتعلة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة ولا حدود لها إلى من عرفت معها معنى الحياة

أختي الكبيرة.

إلى زوجي ورفيق دربي وهذه الحياة بدونك لا شيء معك أكون أنا وبدونك أكون مثل أي شيء إلى من ساندي وشجعني لأكمل مشوار الدراسة في نهاية مشواري أريد أن أشكرك على مواقفك النبيلة

زوجي العزيز

إلى من أحب وأحارب من أجل سعادتهم وتربيتهم أحسن تربية ليكونوا صالحين في الحياة والمجتمع أولادي الصغار أولا التوأم "**ثيزيري** و**روان**" وابني الصغير "**إلان**" أتمنى آن يحفظكم الله ويجعلكم ذرية صالحة

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهن صديقاتي.

ليليا

مقدمة

يعد أسلوب التمثيل أحد أهم أبواب البلاغة العربية، وأكثر الصور الأدبية حضورا وأقربها للنفوس. وكان مفهوم التمثيل عاما، واسعا عند المتقدمين من علماء البلاغة والنقد، فقد أطلقوه على كثير من الصور البيانية كالاستعارة والتشبيه وغيرها...، ولم يجعلوه نوعا خاصا بعينه له خصائصه ومقوماته التي يرتكز عليها، وأسسه ومبادئه التي يتميز بها، وهذا شأن سائر الفنون الأدبية والبلاغية في تلك الفترة، إذ انصرف أهل العلم آنذاك إلى الجمع والتدوين ونسبة الأشعار والأقوال إلى أصحابها، ولم يكن لهم كفاية وقت للتنظير للفنون وتقنينها ووضع قواعدها.

يتناول بحثنا هذا أسلوبا من أساليب البيان العربي، وهو أسلوب التمثيل الذي لم يكن له ضابط معين يؤطره ويميزه عن سائر ألوان البيان، وهو أحد الظواهر الفنية والصور البيانية البارزة في التراث العربي عموما. فهذا الأسلوب البياني تناوله علماء البلاغة أمثال: "عبد القاهر الجرجاني" و"السكاكي" و"الزمخشري" و"القزويني" وبحثوا فيه بالدراسة والتحليل والتمحيص، وقاموا بتحديد و كشف الأسرار المختفية فيه.

وتتمثل إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

ما مفهوم التمثيل؟ ما وهو رأي العلماء البلاغيين في هذا اللون البلاغي؟

و ماهي الخصائص التي يتميز بها في القرآن الكريم؟ وما مدى أهميته وقيمته الجمالية؟

من خلال هذا البحث نهدف إلى الكشف عن هذا اللون البلاغي وماهيته وخاصياته، ثم التركيز على قيمته الجمالية في صياغة المعاني الكامنة في نفس مستعمل اللغة، واعتمدنا في بحثنا هذا على طريقة الوصف والتحليل فانتهجنا بذلك خطة تتمثل في:

مقدمة البحث وفصلين، تناولنا في الفصل الأول: التمثيل في البلاغة العربية وتعرفنا فيه على بعض آراء العلماء البلاغيين القدامى عن مفهوم التمثيل من بينهم الجرجاني وابن المقفع، والسكاكي، القزويني والزمخشري، فأمطنا اللثام عن مفهومه عندهم وبذلك تعرفنا على آرائهم في الفرق بينه وبين التشبيه والاستعارة، كما قمنا بموازنة تلك الآراء، وبيننا ما فيها من اختلاف.

أما الفصل الثاني من البحث: فتناولنا فيه التمثيل في القرآن الكريم، فأبرزنا خصائصه الفنية التي لا توجد في غيره، والأسرار التي يتضمنها هذا الفن البياني، وجماليات التشبيه التمثيلي و أصنافه في القرآن الكريم، وفي الأخير عرضنا في الخاتمة أهم وأبرز النتائج المتحصل عليها في البحث.

وقد اعتمدنا في بحثنا على مصادر ومراجع أهمها: كتابي: أسرار البلاغة ،و"كتاب أسرار البلاغة "و"أسرار البلاغة في علم البيان" لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب الإيضاح في التمثيل البلاغي لـ " السيد محمود شيخون"، وكتاب البيان العربية دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى لـ " الدكتور بدوي طبانة".

ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء هذا البحث هي صعوبة الموضوع نظرا لطبيعته و نقص الدراسات في هذا الموضوع، اضافة إلى ندرة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع.

وأملنا أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في تناول هذا الموضوع، كما نتمنى أن تتاح لنا فرصة أخرى للتعمق أكثر في دراسات أخرى.

الفصل الأول

التمثيل في البلاغة العربية

I-مفهوم التمثيل

1-لغة

2- اصطلاحا

II-التمثيل عندعلماء البلاغة

1-ابن المقفع

2-القاهر الجرجاني

3- الزمخشري

4- السكاكي

5- القزويني

6- الفرق بين الاستعارة والتمثيل

7-الموازنة بين هذه الآراء

يمثل التراث العربي بما يحمله من عطاء ثري في مختلف أوجه المعرفة، العمق الحقيقي للثقافة العربية، ذلك ما مكنه من الإفادة من جميع الثقافات، فجاءت الثقافة العربية الإسلامية كلاً، انصهرت العناصر الوافدة فيها، الأمر الذي جعل منه رافداً يتجدد بتجدد الأجيال، قد يعرف أحيانا نوعا من الاستكانة، غير أنه لا يلبث أن يعيد سيرته الأولى، وفي الحالتين ظل نبعا يغترف منه كل الناس مقدما أفضل الإجابات عندما يواجه أدق الأسئلة.

إن البلاغة العربية قد شكلت موطن تحسس معالم الجمال في ذلك التراث، بل أكثر من ذلك عندما يرتبط منشأ البلاغة في الأساس بمجموعة الإجابات ذات الطابع الجمالي التي صادفت مسار ثقافتنا العربية، كونها تحتوي على أشكال بيانية عديدة نعبر بها عن أحاسيسنا ومشاعرنا، ومن هذه الألوان البيانية نجد التشبيه الاستعارة، الكناية، والتمثيل الذي هو فن من فنون البيان العربي، الذي تناوله علماء البلاغة، القدماء والمحدثين[1].

I-مفهوم التمثيل:

يمثل التمثيل أحد الأساليب البيانية الواردة في التراث العربي، لذلك لفت انتباه الكثير من علماء البلاغة و ركزوا على مفهومه لغة و اصطلاحا.

1-لغة:

«مثل لي مثله ومثله ومثيله ومماثله ومثل به مثله، ولا تمثلوا بنامية الله وهو أن يقطع بعض أعضائه ويسود وجهه، وحلت به المثلة: العقوبة، والمثلات ومثل قائما: انتصب مثولا ورأيته ماثلا بين يديه، وتماثل من مرضه ومثله به: شبهه وتمثل به: تشبه به، ومثل الشيء بالشيء: سوي به وقدر تقديره وتمثله اعتماله ومثل التماثيل ومثلها: صورها ونام على المثال وهو الفراش وامتثلت الأمر: احتذيته وامتثل منه : اقتص»[2].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت د.ط. د.ت.لبنان، ص16.

[2]- ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1412هـ-1992م، ص 571-572.

«والتمثيل لغة: من فعل تمثيلا الشيء لفلان: صوره له بالكتابة ونحوها حتى كأنه ينظر إليه تحدث عنه أبو عبيدة في مجاز القرآن وسماه التشبيه أو تشبيه التمثيل وهو في اللغة التشبيه أيضا، وقد جعل له قدامة بن جعفر " بابا خاصا في كتابه" نقد الشعر" وعرفه فقال:" هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر،وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه" وكذلك قال ابن أبي الإصبع المصري". وهذا الفن البلاغي عند ابن رشيق القيرواني في "العمدة" من التشبيه لقوله: والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما يغير أداته وعلى غير أسلوبه»[1]،والمثل المضروب بالشعر ممثل بقول طرفه:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِدِ

فقوله هذا راجع إلى ما ذكرناه لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك، ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمن، وذكر مثله البقلاني في إعجاز القرآن وكذلك أبو الهلال العسكري" في الصناعتين" إلا أن في التمثيل سماه عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني وشراح التلخيص (التشبيه التمثيلي) وقد تقدم ذكر الحديث عنه مفصلا.[2]

2- اصطلاحا:

هو أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضح ألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة منه[3].

---

[1]- إنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 199، ص424.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 424.

[3]- الشارف لطروش، المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف رقم أمر، الكتاب للنشر والتوزيع، رقم الإيداع 277، 2010، ص96.

II-التمثيل عند علماء البلاغة:

تناول علماء البلاغة العربية فن التمثيل بالدراسة والتحليل، ومناقشة الآراء وبيان ما فيها من قصور مع تحديد عدد من الملاحظات محددة بالأدلة والبراهين، مع تناول الفرق الموجود بين فن التمثيل والتشبيه ونجد من بينهم:

1- ابن المقفع:

إن ما ينطبق على معظم كلام ابن المقفع هو التمثيل عند الجرجاني كون التمثيل يخرج المعاني المعقولة والأفكار الخفية إلى صورة مرئية خليقة بالإقناع والتأثير، ويكون فيه تشبيه الخفي بالظاهر والغامض بالواضح، ولهذا يعتبر من أكثر ضروب التشبيه ورودا في القرآن والشعر العربي... فاهتم"ابن المقفع" بالتمثيل في التصوير والبيان فنجد في كتابه "كليلة ودمنة" تمثيل المعقول بالمحسوس وهذا هو المطلوب عنده.

1-1-التمثيل ودوره في أداء المعاني عند ابن المقفع:

نجد أن "ابن المقفع"[1] تصرف في مجال الأخلاق والتهذيب كما طال فيها وذلك بقصد الإفهام والتوضيح والبيان، فأجاد بذلك في روعة بلاغية تستدعى الوقوف عليها، لمخاطبتها لعقل وقلب وفكر المتلقي من عمق وإبداع، وإلى ما ترمي إليه فلقد وفق في اختيار الأساليب الأنسب للتعبير عن المعاني التي كانت ذات خصوصيات تستدعي أساليب بعينها وتقتضيها. فنلحظ أن التمثيل هو من أبرز الأساليب في كتابة "كليلة ودمنة"، وجاء لاقتضاء المقام والمعنى له، لأن هناك بعض أمور لا تتكشف إلا من خلاله فهو لم يترك (أي التمثيل) للقارئ شيئا غامضا وهذا هو سر روعته ومناط بديعيه، فالتمثيل هنا قد اجتمعت أداته واستحكمت معانيه وتشعبت فوائده،

---

[1]- **أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع** (142 - 106)هـ)(724 م . 759 م) بالفارسية:ابن مقفع - أبو مُحَمَّد عبد الله روزبه بن داذويه) وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسياً لكنه اعتنق الإسلام ,وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية.

[2]-ينظر، محمد شادي، أساليب البيان والصورة القرآنية، ط1، دار والي الإسلامية، ص75.

فالألفاظ مشاكلة للمعاني في حسنها وبهائها، وكذلك المعاني موافقة للألفاظ في جمالها، فجاءت منسجمة التركيب، فالتمثيل عند ابن المقفع يخاطب العقل الإنساني ويهذب السلوك الناشئ عنه. [1]

ففي هذا الكتاب "كليلة ودمنة" استعمل فيه الرموز والحكم، ولا عجب أن يكون التشبيه والتمثيل من أهم الوسائل التعبيرية فيه لما يمتاز به التمثيل بتأثير عاطفي خاص، وذلك لغموضه والمعنى فيه غير محدد وهذا ما يفسر كثرة استعماله كوسيلة في التهذيب والتأديب فابن المقفع كان يحرص على متلقيه ليخوله بالنصيحة والموعظة حتى يعقل ويتبصر[2].

ويعتبر ميلاد أدب رمزي رائع في صورة فريدة، كما يعتبر أيضا ميلاد نوع جديد من أنواع التمثيل في صورة مبتكرة، وهو أن هذه القصص الرمزية جيء بها لتمثيل معان معقولة خفية يريد إيصالها، وهذا النوع من التمثيل نادر ونفتقده في كتب البلاغيين، بحيث كان في تمثيله روح القصة وروعة التعبير والخيال المجنح القوي والروعة الخلاقة للإبداع الذي ما بعده إبداع، حيث نجد الصور تتكامل وتتناسق أجزاؤها، وتنسجم مع المعنى انسجاما كليا، فالجمال يكمن في التناسب والانسجام والتنسيق، فالتمثيل أسلوب بديع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها، فهو يدل على فطنة الكاتب ويقظته العقلية والقدرة على الخلق و الإبداع وهو من أصعب الأساليب البلاغية، وهو عند "ابن المقفع" يكمن القول فيه بأنه عملية تركيب وتأليف بين عناصر التشبيه في المخيلة، فيندفع منها عدد من الصور والإيحاءات وكثافة من المشاهد التي تحول لغة الإشارة الرامزة إلى ربوع حية ومتحركة[3].

ومن هنا نرى أن التمثيل ينقل من الشيء العقلي نفسه إلى صورة بارعة حقيقية تمثله وكلما كان هذا الانتقال بعيدا أو ممتزجا بالخيال كان أروع للنفس وادعى إلى إعجابها وتأثرها. وتعتبر هذه من عبقرية "ابن المقفع" وهو أن يجعل المعاني العقلية الوجدانية التي تدور في الخاطر أمورا مشاهدة محسوسة وملموسة تألفها النفس ويأنس إليها القلب فتنقل المعنى من العقل إلى الحس

---

[3]– ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، رسالة ماجستير، إشراف محمود صيام، 2006، ص42.

[3]– ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، إشراف محمود صيام، 2006، ص42.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص44.

بلا تعب وعناء، لأن تمثيل "ابن المقفع" قائم على توضيح المعاني المعقولة وإلباسها ثياب المحسوسات والمرئيات، « فالصور والمحسوسات عامة كانت هي الوسيلة الأولى للإدراك ولم يكن للإنسان طريق إلى المعرفة سواها فليس وراء المحسوسات شيء..» [1].

يظهر أن المعاني العقلية التي يسعى "ابن المقفع" لإيصالها وإن كانت ثابتة متيقنة بها فإن تمثيلها بالمحسوسات أولى وأحق، وذلك لتعطيها مزيدا من الإيضاح، إضافة إلى ذلك العلم الذي يبنى على الإدراك يكون فيه مزيدا من القوة والتأكيد، كما أن تمثيل "ابن المقفع" يجمع بين الامتناع والإقناع، فالأول لان القارئ والسامع يكونان بهذا التمثيل أمام صورة تربط أمر عقلي بأمر حسي، أما الثاني فهذا التمثيل يجعل كلا منهما يأخذ المعنى ويدل عليه الدليل. ويقول العلوي في تشبيه المعقول بالمحسوسات: « إن المعاني العقلية وغن كانت ثابتة مقطوعا بها متيقنة خلا أن التمسك بالمحسوسات والتعويل عليها في المشابهة أولى وأحق، لكونها تفيد زيادة قوة ومزيد من الإيضاح».[2]يتضح هنا أهمية التمسك بالمحسوسات لأنها أولى وأحق في المشابهة لزيادة وقوة ايضاح التمثيل.

ويعتبر التمثيل عند "ابن المقفع" من الأساليب التي تجلى المعنى وتوضحه أتم توضيح فالنفس بطبيعتها تنفر من الغموض واللبس ولهذا فالتمثيل ييسر لها ويخرجها من متاهات العقول إلى ما تدركه الحواس بالضرورة، فيكون بذلك علمها أوسع وأعمق.ولذلك جاء تمثيل "ابن المقفع" لما يحدث في عالم البشر بقصص تحدث في عالم الحيوان. وتمثيله بعيد عن التكلف ويعد تحديدا في أساليب النثر المألوفة بالسجع والتصنع، فبعض معانيه الأخلاقية تحتاج إلى زيادة بيان فيرجع إلى التمثيل الكاشف الذي يؤكد صحة ما ينادي إليه بتمثيله. [3]

وجدنا أن تمثيل ابن المقفع يدور في ثلاثة محاور، فهو يقوم على الإيضاح والإفهام ويعتبر خطوة أولية للإقناع أي أنه يهدف إلى أن يقنع المتلقي و يؤثر في نفسيته، كما يرغب في فضائل الأخلاق والسلوك مع الخاصة بشكل خاص والعامة بشكل عام وتزيينها للقارئ، كما يعتبر التنفير

---

[1]- محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني ط3، 1993/1413، مكتبة وهبة القاهرة، ص136.

[2]- ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص46.

[3]- الطراز للعلوي، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، ط1ن 1995/1415، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ص166.

من مساوئ الأخلاق ورسم صورة قبيحة منفرة لها وتربط براعة الإقناع بالقدرة على التحسين والتقبيح، فالصورة الحسية إذا كانت هي الوسيلة للتحسين والتقبيح فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه، بحيث قام "ابن المقفع" بربط معانيه بصور أشد حسنا أو قبحا فصارت صفات القبح أو الحسن من الصور إلى المعاني[1].

يضرب ابن الأثير مثالا لذلك نحو قول ابن الرومي:

تَقُولُ هَذاَ مُجاج النَحْلِ تَمْدَحُه وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ: ذَا قَيْءِ الزّنَابِيرْ

فهنا ابن الرومي يمدح العسل ويذمه في بيت واحد، ولكنه بهذه الصورة التشبيهية حسنه وقبيحه في نفس السامع. تعد هذه المحاور الثلاثة من أهم الأسباب التي دفعت "ابن المقفع" إلى التمثيل، والذي كان سر خلود آثاره وعموما جميع المتلقين.

1-2-دور التمثيل في أداء المعاني عند ابن المقفع:

يقع التمثيل على صورتين:

الصورة الأولى: أن تجيء المعاني ابتداء في صورة التمثيل مفرغة في قالبه وهذا كثير في القرآن الكريم نحو قوله تعالى ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾سورة البقرة، آية 3 فيكون بذلك قياسا موضحا. والصورة الثانية: أن يأتي التمثيل في أعقاب المعاني متأثرا لها، لتجلية مغزاها وكشف سرها، وتقريرها في النفوس، فالتمثيل الذي يجيء في أعقاب المعاني هو الأجدى في كلام "ابن المقفع" وفي الكلام كله[2]. يظهر أن تمثيل "ابن المقفع" في غالبه يأتي في صور تمثيلية كبرى، تشتمل على العديد من الصور التمثيلية الجزئية التي تدور حول معنى واحد.

إن طرفا الصورة التمثيلية تتنوع عند ابن المقفع بحيث أنه قد يأتي المثل مفردا، بينما يكون الممثل به صورة مركبة من جملة من الأوصاف والأحوال، كما أنه قد يمثل المفرد بالمقيد نحو قوله: « وإنما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره" فقد مثل العقل والرأي وهو مفرد بالبحر الذي لا تدرك غايته وليس فيه مسلك، وهو ممثل به مقيد، وقد يمثل المركب بالمفرد، كما في قوله " فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه... وهو في خفة زواله وسرعة إقباله وإدباره

[1]- ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص 48-49.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص53.

كالريح».[2] فهنا نجد أنه قد مثل للمعنى المركب وهو خفة زوال الملك وسرعة إقباله وإدباره بالمفردة وهو الريح وذلك في السرعة والخفة لكن هذه الصياغات الثلاثة هي الوحيدة والنادرة في كتاب ابن المقفع لأن الصور التمثيلية المعروفة لديه تمثيل مركب بمركب ويعتبر هذا تمثيل عند عبد القاهر وتشبيه عند بقية العلماء.

1-3-ضروب التمثيل عند ابن المقفع:

و نذكر هذه الضروب فيما يلي:

1-التمثيل الصريح: هو الذي يأتي بصياغة يكون التمثيل فيها صريحا يذكر أركانه الثلاثة (الممثل والممثل به وأداة التمثيل) أما الركن الرابع فهو محذوف في جميع تمثيل ابن المقفع نحو قوله: (ومن ركب هواه، ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جر به هو او أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله السرة على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته) [1]، إنه تمثيل صريح مثل فيه معنى من اتبع هواه ورفض الاتعاظ بتجاربه وتجارب غيره بالمريض الذي يعلم جيدا الطعام وخبيثه لكن الشره يحمله على ترك جيده وأكل خبيثه الذي يبعده عن طريق النجاة، وهذا التمثيل استوفى أركانه الثلاثة والمعنى الجامع هو إتباع الهوى فيما يعود على الإنسان بالضرر.

2-التمثيل الضمني: هو الذي لا يعبر عنه صراحة وإنما يلمح من الكلام و يلحظ من الأسلوب، نحو قوله في التشبيه: [2]

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدّ جَدُّهُمْ وَفِي اللّيْلَةِ الظّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

فالشاعر هنا نجد أنه لم يشبه بصراحة حاجة قومه إليه أيام الأزمات بحاجة الناس إلى ضياء البدر في الليالي المظلمة، ولكنه ألمح إلى هذا المعنى، وذلك دون أن يصرح بأركان التمثيل.

---

[2] – نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع ، ص55.

[1]– المرجع نفسه ، ص55.

[2]– المرجع نفسه، ص55

فنرى أن هذا التمثيل ذا قيمة، يحتاج في الوصول إليه إلى قدر كبير من الفكر والتأمل، وما يبعث على هذا النوع التفنن والتجديد في أساليب التعبير وصياغة المعاني، والنزوع إلى الابتكار، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى الممثل له، والرغبة في إخفاء معالم التمثيل، لأنه كلما خفي كان أبلغ في النفس لدقته' كما أن هذا النوع من التمثيل نجده يتناسب مع كتاب "ابن المقفع" الرامز، فهو تمثيل يدخل المعنى إلى النفس من باب الكناية والرمز...، وهذا يشبه معاني "ابن المقفع" التي نجدها وراء ألفاظه وأساليبه غير المباشرة في الدلالة على المقصود[1].

فقمنا بدراسة هذا النوع من التمثيل (الضمني) عند "ابن المقفع" ومن صياغات التمثيل الضمني نذكر في قوله: (ثم أن "بيدبا" جمع تلاميذه وقال لهم: إن الملك قد ندبني إلى أمر فيه فخري وفخر بلادكم، وقد جمعتكم لهاذ الأمر، ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب، والغرض الذي قصد فيه، فلم يقع لهم الفكر فيه. فلما لم يجد عندهم ما يريده، فكر بفضل حكمته أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل وإعمال الفكر. وقال أرى السفينة لا تجري في البحر إلا بالملاحين لأنهم يعدلونها، وإنما تسلك اللجة بمدبرها، الذي تفرد بإمرتها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين، وكثر ملاحوها، لم يؤمن عليها من الغرق) [2].

نفهم من هذا القول أن الفيلسوف "بيدبا" لما طلب منه تلاميذه مساعدته في كتاب طلبه منه الملك في الحكمة والسياسة، لم يجد عندهم ما يريده، فرأى أن عليه أن يستفرغ عقله ويقوم بإعمال فكره واستنفاذ مادته ويودعها في الكتاب المطلوب فقام بتمثيل حاله وحال تلاميذه، وحال ما ينجزه بقوله: " أرى السفينة لا تجري في البحر إلا بالملاحين لأنهم يعدلونها وإنما تسلك اللجة بمدبرها، الذي تفرد بإمرتها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق"[2]، هنا نجد أن المعنى جاء في صياغة الأسلوب الضمني فهو لم يصرح فيه بأداة تمثيل، ولم ينص عليه وإنما فهم عرضا وضمنا. فالفيلسوف " بيدبا" يرى أن التعاون والتآزر مع تلاميذه والأخذ برأيهم،

[1] – ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع ، ص57.

[2] – المرجع نفسه، ص 59.

[2] – المرجع نفسه، ص 59.

كالسفينة التي لا تجري في البحر إلا بتعاون الملاحين، كما أن الجماعة لا بد فيها من أعوان يتآزرون فيما يعود عليها بالصلاح.

فالمعنى هنا يتصاعد ويزداد خصوصية كلما تقدم بنا اللفظ وهذا المعنى جاء في أسلوب القصر (النفي والاستثناء).فزادت هذه الصورة التمثيلية المعنى تقريرا في النفس، وكشفت اللبس والغموض عن جوانبها الخفية وذلك عن طريق الجهد وكد الخاطر، كما أن التمثيل الضمني قد يأتي تعقيبا على المعنى الغريب، نحو قول "ابن المقفع": "فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور التي ربما يحتاج فيها إلى الذي لا يؤبه وليس أحد يصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره، حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذ الرجل فيكون عدته عند الحاجة إليه "[1].

في هذا القول تظهر صورة تمثيلية تتضمن تمثيل الأمر الصغير الذي ربما استهين بنفعه بالعود الملقى الذي ربما نفع، وهنا نجد التمثيل الضمني الذي صيغ به المعني، ويضع البينة والحجة ماثلة أمام عين القارئ، وذلك كون المعنى الغريب له يدعى استحالة وجوده وامتناعه، والصورة هنا جاءت للزيادة في قوة المعنى ولتنفي عنه الشك والريب، والمعنى الجامع فيها هو عدم الاستهانة بصغر الأشياء وإهمالها، فإنها قد تأتي بالمنفعة. [2]

3-التمثيل المتعدد: هو ما يتحقق بتجاور أكثر من تمثيل في الموضع الواحد أو للمعنى الواحد، ووجدنا في كلام "ابن المقفع" رغبة منه في زيادة الإيضاح وإبراز معانيه في صورة دقيقة خالصة من الإبهام، فجاء التمثيل المتعدد عنده في خمس صور تضم صياغات متنوعة نذكرها: [3]

- **الصورة الأولى: تمثيل الجمع الضمني:**

وهو أن تتوالى عدة تمثيلات ضمنية لمعنى واحد، مثلا قد تتوالى صورتان تمثيليتان ضمنية لمعنى واحد نحو قوله: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم، فإن الحجر المانع الذي لا ينقطع لا تجرب عله السيوف، والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس" تظهر في هذا القول صورتان لمعنى

[1]- نوير بنت ناصر عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص62.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص62

[3]- المرجع نفسه، ص63

واحد وهو ترك ما لا يستقيم، ولكن الصورتين لم تصرحا بالمعنى وإنما فهم ضمنا، وجرى مجرى المثل، والمعنى الجامع هنا هو قطع الأمل مما لا فائدة منه. [1]

نذكر ما سبق أن صورة التمثيل الضمني عند "ابن المقفع" تجاوزت حدود المقارنة بين أمرين، كما تجاوزت حدود التشبيه إلى التشبيه الخفي، فلقد اعتمد على الخيال وتدفقه في الصورة الرائعة التي تجاوزت المعاني الخاصة إلى العامة.

- **الصورة الثانية: (التمثيل الملفوف):**

هو الذي يؤتى بصورة الممثل له معطوفة على بعضها ثم يصور الممثل على طريقة اللفة والنشر، كما أن صياغة التشبه الملفوف أقوى لما فيها من لف ونشر لا يتم إلا عند التناسب الشديد بين التشبيهين حتى لا يقع اللبس، نحو قوله: "فإن صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح؛ إذا مرت بالطيب حملت طيبا، وإذا مرت بالنتن حملت نتنا".[2]

يظهر من خلال هذا القول أن هناك صورتين قامتا على المقارنة والمقابلة، وذلك في صورة الريح التي إذا مرت بالطيب حملت طيبا وإذا مرت بالخبيث حملت خبيثا، فإذا كانت صحبة الأشرار تظهر حسن صحبة الأخيار، فإن صحبة الأخيار تظهر قبح صحبة الأشرار، وهنا تظهر المقابلة في إبراز جوهر المعاني، وهذه هي الصداقة التي إن كانت مع الأخيار ورثت الخير، وإن كانت مع الأشرار ورثت الشر، والمعنى الجامع في هذه الصورة هو الأثر الناتج عن المخالطة.

- **الصورة الثالثة: (تمثيل التسوية):**

هو أن تتعدد صور الممثل له، و سمي بذلك لأنه سوى عدة صور للمثل له بصورة ممثل به واحدة، نحو قوله: "فالخلتان الأوليان مثلهما مثل لنار التي تحرق كل حطب يقذف فيها".

نجد أنه قد مثل لمثلين هما النسك والمال بصورة تمثيلية واحدة وهي النار، التي تحرق كل حطب يقذف فيها، وهذا من التمثيل المفرد بالمركب. إذ أن النسك والمال مفرد، والصورة الممثل مركبة والمعنى الجامع بينهما هو شدة الامتزاج. [2]

---

[1]- ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع ،ص 63

[2]- المرجع نفسه، ص62.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ص64

الصورة الرابعة: (التمثيل المفروق):

وهو أن تتجاور الصور التمثيلية دون التداخل بين عناصرها، كأن يلحق بكل معنى ممثل صورته الممثل بها نحو قوله: "وإن من الناس لا مروءة له و هم الذين يفرحون بالقليل و يرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به، و أما أهل الفضل و المروءة فلا يقنعهم القليل، ولا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له، وهو أيضا لهم أهل كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها، وطلب البعير ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة من الخبز فيفرح بها؛ وأن الفيل المعترف بفضله وقوته، إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه ويتملق له". [1] وجدنا هنا صورتين تمثيليتين متجاورتين: الأولى هي تصوير المرء قليل المروءة والذي يفرح بالقليل، بالكلب الذي يصيب العظم اليابس فيفرح به ويقنع وذلك في قمة الرضا بالضعيف، والصورة الثانية تتمثل في تصوير الفاضل ذي المروءة والذي لا يقتنع بالقليل بالأسد الذي صاد الأرنب لكنه إذا رأى البعير ترك كل ما صاده وذلك ليظفر بالبعير، وذلك بالرغبة في الزيادة وعدم اقتناعه بما يملك، فنجد في الصورة التمثيلية الأولى تربية للنفوس على العزة والسمو بالهمم، وهذا ما يدعو إليه "ابن المقفع" من مكارم الأخلاق العالية والرفيعة، من خلال ما سبق نرى أنه إذا كان في التمثيل المفروق صور تمثيلية متجاورة، إلا أن لكل صورة معنى تختص فيه.

- **الصورة الخامسة: (تمثيل الجمع):**

وهو أن تتعدد صور الممثل به، وسمي بذلك لأنه يمثل بأكثر من صورة تمثيلية للمثل واحد. فابن المقفع يشير لهذا النوع إلى معاني كثيرة في الممثل له، فيجعل لكل معنى صورة تمثيلية خاصة به، وبذلك ينتقل بالمعنى من العام إلى الخاص، ومن الاتساع إلى الدقة[2]، كما أنه وضع صياغات لافتة في تمثيل الجمع منها:

---

[1]- نوير بنت ناصر عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص63.

[2] - المرجع نفسه، ص64

[3]- المرجع نفسه، ص65

•تمثيل معنى واحد بخمسة: ومن ذلك قوله: "إن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء، كالذي يضع الرماد موضعا يبتغي أن يضع فيه الرمل، ويستعمل فيه السرجين، والرجل الذي يلبس لباس المرأة، والمرأة التي تلبس لباس الرجل، والضيف الذي يقول: أنا رب البيت، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه".[3] ففي هذا الموضع يبدو المعنى غزيرا في نفس ابن المقفع ومخيلته حتى تأثر في نفسيته، فذكر خمس صور تمثيلية لمعنى واحد، فقام بتمثيل المرء الذي يقوم بعمل ما له ولا يتناسب معه وذلك بـ:

1-هو أنه يضع الرماد موضع الرمل.

2-والرجل الذي يلبس لباس المرأة.

3-المرأة التي تلبس لباس الرجل.

4-في الضيف الذي يقول انا رب البيت.

5-الذي ينطق بين الجماعة بما لا يسال عنه.

فمن خلال هذه الصور تظهر معان عدة تتمثل في وضع الشيء في غير موضعه، ووضع الشيء في موضع فاضح وفيها كل أشكال النقص والعيب والعار ما ليس في صورة لبس المرأة للباس الرجل على ما فيها من نقص، والشخص الذي يدعي ما لا يمتلك، والمتطفل والفضولي. وهكذا فكل صورة تفجر معان أكثر خفاءً فبذلك ينمي المعنى ويرتقي ويكوّن في النهاية المعنى الكلي لهذه الصور المأخوذة من حقول عدة. [1]

وخلاصة القول:

إن مرجع تأثير التمثيل عند ابن المقفع لا يرجع إلى المعنى، وإنما يرجع إلى كيفية بروز المعنى ومعرضه ووسيلة إدراك النفس له، ففي إدراكه بالصور المشاهدة وإحالة المعاني العقلية إلى صور ماثلة أمام العينين، حتى أصبحت مما يرى بالعين ويعقل بالقلب، مما يزيد النفس أنسا وقبولا له، ويرمي بالمعنى في القلب بواسطة طريق واضح ومختصر، لذا كان التمثيل بحر البلاغة وسرها، وقد فطن ابن المقفع إلى هذا الأسلوب فأشاعه في كتابه، فجاء تمثيله بمثابة التوكيد لمعانيه العقلية، فقام باستغلاله كوسيلة تصويرية يصور به المعاني التي تختلج في نفسه.

[1]- نوير بنت ناصر عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص66

1-4-خصائص تمثيل ابن المقفع:

تتمثل خصائصه فيما يلي:

- كثرة صور التمثيل عنده بحيث يعتبر تمثيله وسيلة للإرشاد والتوجيه والتهذيب.
- حاجة المعاني للتمثيل كونه يمثل دور بارز في تكوين المعنى وأدائه على خير وجه وأفضل منحى.
- الغرض التعليمي الأخلاقي، التهذيبي هو السمة الظاهرة في تمثيل ابن المقفع.
- اقتران المعاني المتعارضة في سياق واحد وذلك لتتمايز الحقائق مصلا: حين ذكر صحبة الأخيار ويذكر صحبة الأشرار.
- قيام ابن المقفع في تمثيله على الجمع بين المتباعدات وهذا ما يدلدل على قوة خياله، وذلك ليبرز العلاقات الكامنة فيه.
- التفصيل في الصور لتتلاءم مع المعاني الممثل لها.
- تنوع التمثيلات بين التأكيد والإرسال وذلك باستعمال أدوات التمثيل مثل: الكاف، الفعل (شبه)...
- تمثيل ابن المقفع في الجمل القصيرة يكون فيه الوجه محذوف دائما (يكون التماثل بين الممثل والممثل به).
- إبراز المعاني الواحدة في صور مختلفة وبأساليب متباينة.
- تركيب الصور المتداخلة فيما بينها لتتولد منها صور رائعة بدعة. [1]

2-عبد القاهر الجرجاني:

بحث عبد القاهر الجرجاني[2] بحثا عميقا في أثر كل فن من تلك الفنون الأدبية مقارنة بالعلماء الآخرين، وخاصة فن التمثيل، وهو في أكثر الأحيان يحتكم إلى ذوق اللغة وذوق

[1]-ينظر، نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي،تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص70-71

[2]-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، (400هـ/ 471هـ)، مؤسس علم البلاغة.

المتكلمين بها، وأذواق الأدباء الذين حملوا الألفاظ معاني اكتسبتها من استعمالهم لها على مدى الزمن.

ومن أمتع المباحث في ذلك، مبحثه في الفروق بين التشبيه والتمثيل، وقوله في تأثير التمثيل في النفس: «إن أول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بتصريح بعد مكني، وإن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى آخره،هي بشأنه أعلم وثقته به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طريق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام»[1].

فالإمام عبد القاهر حدد مفهوم التمثيل أنه هو ما احتاج وجه الشبه إلى تأويل وصرف عن الظاهر، واعتمد في تفريقه بين التشبيه والتمثيل على وضوح وجه الشبه وخفائه، وعلى مدى وجوده وتحققه في الطرفين، وكيفية انتزاعه منهما، فالتشبيه عرفه أنه هو ما كان وجه الشبه أمرا بينا ظاهرا له وجود حقيقي في كلا الطرفين لا يحتاج في الوقوف عليه إلى تأويل وصرف عن الظاهر ورد شيء إلى شيء، ففي قول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن الشيئين إذا شبه احدهما بالأخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل والآخر: أن يكون الشبه محصلا يضرب من التأويل».[2] فالمثال الأول تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل مثلا عندما نشبه شكل البيض بالوجه، أو نشببهه بالقمر في الضياء.

من هنا نجد عبد القاهر الجرجاني يتحدث عن التشبيه الذي لا يحتاج وجه الشبه فيه إلى تأويل ، لأن له وجودا حقيقيا في كلا الطرفين، وذلك يتحقق في كل تشبيه كان الوجه فيه حسيا منفردا كان أم مركبا.

ومن ذلك قول ابن الرومي:

---

[1]– بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة في تطور الفكر البلاغي عن العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى،ط7، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، الرياض، د.ت، ص229.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص190.

حِبْرُ أَبَى حِفْصَ لُعَابُ اللّيْلِ يَسِيلُ لِلْإِخْوانِ أَيّ سَيْلِ

فقد شبه حبر ذاك الكاتب بلعاب الليل في السواد، ووجه الشبه وهو السواد مفرد حسي، له وجود حقيقي في كل الشبه والمشبه به وقول أبي قيس بن الأسلت: [1]

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَا لِمَنْ رَأَى كَعُنْقُودِ صَلَاحِيَة حِينَ نَوّرَا

وقد شبه نجوم الثريا بعنقود العنب حين نورا، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع أجسام بيض مستديرة وصغيرة على كيفية مخصوصة، فهو مركب حسي وله وجود حقيقي كما نرى في كل من طرفي في التشبيه.

ومثل قول عبد الله بن المعتز:

كَأَنَّ عُيُونَ النَّرْجِسِ الفَضِّ حَوْلَنَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوِهِنَ عَقِيقْ

فهنا شبه عيون النرجس بمداهن در (اللؤلؤ العظيم) حشيت عقيقا، فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من إحاطة دائرة بيضاء بأخرى حمراء وهو موكب حسي محقق في كلا الطرفين .

وقول ذي الرمة: [2]

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالِهِنَ بِنَا أَوَاخِرَ المَيْسِ إِيقَاضُ الفَرَارِيجِ

هنا نجد أنه يصف أصوات الرجال المصنوعة من شجر الميس وقد أسرعت بهم المطايا في السير فصار يسمع لتلك الرحال أصوات تشبه أصوات الفواريج الصغار، فوجه الشبه يظهر في تلك النغمة الخاصة الناتجة من احتكاك أعواد الرجل عند السير والمسموعة من أفراخ الدجاج، وهو مفرد حسي مدرك بحاسة السمع وله وجود حقيقي في طرفي التشبيه.

ومثل قوله أيضا، يصف أنياب البعير حين يجتر الطعام: [3]

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا كُلَّ سَحَرَةٍ صِيَاحُ البَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللَّوَائِكِ

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان)، ص193.

[2]–المرجع نفسه، ص194

[3]–المرجع نفسه، 194

فقد شبه صوت أنياب البعير بصوت الصقور ووجه الشبه له وجود حقيقي في طرفي التشبيه إذ تنطوي أصوات أنياب الإبل في حال مضغها مما تجتره من الطعام على نغمة خاصة من يسمعها يستطيع أن يتخيلها ويتصورها في صياح البوازي، فالصوت الناجم عن كل من المشبه والمشبه به يكاد يكون واحدا على الرغم من كونه ينطوي على قدر زائد عن مجرد كونه صوت.

ومن تلك التشبيهات الحسية أيضا قول الفرزدق: [1]

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِي لاَ هُرَاءَ وَلَا نَزَرَ

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الخَمْرُ

شبه بشرة الحسناء بالحرير، ووجه الشبه هو نعومة الملمس وهي صفة مشتركة بين الطرفين ولها وجود حقيقي في كليهما ويدركها الإنسان بحاسة اللمس، إلى غير ذلك من التشبيهات الحسية التي يدرك وجه الشبه فيها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وله وجود حقيقي في طرفي التشبيه، وسواء أكان هذا الوجه الحسي المنتزع من الطرفين مفردا أم مركبا من عدة أمور.

كما يعد من قبيل التشبيه عند عبد القاهر، تشبيهات يكون فيها وجه الشبه عقليا حقيقيا أي من الغرائز والطباع والأخلاق الراسخة، كالكرم والشجاعة واللؤم والمكر والخداع ونحو ذلك.

فقول عمران بن حطان: [1]

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاءٌ تَنْفُرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

فهنا نجد أنه شبه المهج بالأسد في الشجاعة وقت السلم وبالنعامة الفتخاء في الضعف والجبن وقت الحرب والنزال، لأن الوجه مشبه من الكيفيات الراسخة المتقررة في النفس.

يعتبر عبد القاهر ما كان الوجه به من الأخلاق والغرائز والطباع الثابتة تشبيها، كون وجه الشبه عندما يكون من تلك الأمور، فهو ظاهر لا يحتاج في إدراكه إلى تأويل، إذ هو ثابت له وجود حقيقي في كلا الطرفين، من ثم يتطرق عبد القاهر الجرجاني للضرب الثاني: وهو "التمثيل" حيث يكون وجه الشبه خفيا يحتاج إلى ضرب من التأويل لتحصيله و ذلك بقولهم: "حجة كالشمس في الظهور وألفاظه كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة وهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها"، فوجه الشبه في هذه الأمثلة ليس له وجود حقيقي في كلا الطرفين،

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان)، ص195

لهذا نحتاج إلى التأويل والبحث عن معنى يكون له وجود حقيقي في كلا الطرفين فتشبيه الحجة بالشمس من جهة ظهورها لا يتم إلا بالتأويل فحقيقة ظهور الشمس أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها ولهذا يظهر الشيء إذا لم يكن بينك وبينه حجاب إذن فوجه الشبه بين الحجة والشمس هو مطلق الإدراك وهذا موجود في الطرفين فالشمس مدركة بالحس والحجة مدركة بالعقل إذا ارتفعت الشبهة، وهذا معنى التأويل والصرف عن الظاهر، وهنا لم يقصد أن الحجة مرئية كرؤية الشمس وإنما مرئية رؤيا علمية عقلية. [1]

ففي المثال السابق نحتاج إلى تأويل لنصل به إلى وجه الشبه يحقق في كلا الطرفين، وهو بعد التأويل نجد ميل النفس وحصول الرائحة واللذة لها، بحيث يحدث الكلام الجيد في النفس سرورا كما يوجد في العسل والماء والنسيم الذي يمتع النفس وتلذ به، وفي المثال: هم "كالحلقة المفرغة"، ومن هنا نصل بالتأويل من التناسب المحسوس الذي في الحلقة إلى التناسب الكلي التام الذي لا تفاوت فيه، ثم يذكر عبد القاهر أن التمثيل يتفاوت تفاوتا شديدا، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه بقليل من التأويل ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة.[2]

إن الفرق بين التشبيه و التمثيل عند الإمام عبد القاهر يدور حول ظهور وجه الشبه ووضوحه وخفائه وغموضه، فإن كان ظاهرا بينا لا يحتاج فيه إلى تأويل فذاك هو التشبيه،و يتحقق فيما كان فيه الوجه من الحسيات، وإن كان خفيا غامضا يحتاج إليه إلى التأويل فذاك هو التمثيل وهو يتحقق فيما كان الوجه فيه من العقليات، و الأمر الذي أراده الجرجاني هنا هو الفصل بينهما و ذلك من جهة الظهور و الخفاء، كما يرى أن الوجه الذي يكون في المحسوسات خفيا يحتاج في فهمه إلى تأويل و ذلك لكي تدخل هذه الصور الحسية في باب التمثيل، وغاية الأمر أن الخفاء في المركبات مطلقا، وفي العقليات بصفة خاصة أكثر ورودا منه في غيرها.

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص194.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص195

2-1- مراتب التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني:

ذكر عبد القاهر الجرجاني أن التشبيه التمثيلي يتفاوت تفاوتا شديدا، فمنه ما يسهل الوصول إليه حتى أنه يكاد يداخل التشبيه غير التمثيلي الذي لا يحتاج إلى تأويل، ومنه ما يحتاج إلى قدر من التأمل، ومنه ما يغمض حتى يحتاج في استخراجها إلى روية وتفكر.

ويعود ذلك التفاوت إلى أمرين:

«**الأمر الأول:** مقدار الخفاء الذي أحوج إلى التأويل،فما كان وجه الشبه فيه قليل الخفاء لا يستغرق فهمه ولا يحتاج فيه إلى تأويل كثير، وإنما يدركه المخاطب دون عناء كبير». [1]

كما في قولهم:

حجة كالشمس في الظهور فهو قريب المأخذ سهل التناول يكاد يكون تشبيها، وما كان به نوع خفاء كما في قولهم: "كلام ألفاظه كالعسل حلاوة" فهو في مرتبة أعلى من المرتبة الأولى لازدياد الخفاء الموجود فيه عن الأول، فإن قوي الخفاء احتاج في استخراج الوجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة، كما في المثال التالي: "هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها".كان هنا التمثيل في مرتبة أعلى من المرتبتين السابقتين.

الأمر الثاني: الشيوع والندرة، فإن شاع التمثيل على السنة العامة إلى حد استوى الناس جميعا في إدراك وجهه واستخراجه كما في المثال الأول كان في المرتبة الدنيا من مراتب التمثيل، وان قل شيوعه كما في المثال الثاني كلام ألفاظه كالماء...إلخ، كان في المرتبة الوسطى من مراتب التمثيل. [2]

علق عبد القاهر على هذا القول" هم كالحلقة المفرغة"، أنه لا يفهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة، فهو ما كان مذهبه مذهب اللطف، فلا تراه إلا في الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة، ويرى أن المركبات العقلية يتحقق فيها هذان الأمران معا هما شدة الخفاء والشيوع ولذا فإنها في أعلى مراتب التشبيه التمثيلي كما في قول ابن المعتز:

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الحُسُو دْ فَإِنَ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1991، ص156.

[2] - المرجع نفسه، ص156

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَـــــــــــهَا إنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

نجد في البيتين تشبيه تمثيلي ويعتبره عبد القاهر الجرجاني تمثيل، لأن تشبيه الحسود إذا صبر عليه سكت عنه وترك غيظه يتردد فيه بالنار التي لا تمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا مما يحتاج إلى التأويل ظاهرة بينة.

كما أن عبد القاهر الجرجاني تحدث عن العلاقة بين التشبيه والتمثيل في قوله: «وإذ قد عرفت الفرق بين الضربين فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل اخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا»[1].

فالعلاقة بين التشبيه والتمثيل هي علاقة العموم والخصوص، والمراد بالتشبيه عند القاهر هنا، هو معناه الاصطلاحي الذي عرف عند البلاغيين، وهو مجرد إلحاق أمر بآخر في معنى مشترك بينهما بأداة، وبين التشبيه والتمثيل بهذا المعنى هو أنه يجوز إطلاق على التشبيه والتمثيل بهذا المعنى، وهو أنه يجوز إطلاق لفظ (التشبيه) على التمثيل كما يجوز إطلاقه على التشبيه الظاهر الصريح إلا أن هذا الإطلاق عام في التشبيه الظاهر وخاص في التمثيل. [2]

ولهذا فعبد القاهر قال أن العلاقة بينهما علاقة العموم والخصوص وبعض البلاغيين سموا التمثيل بالتشبيه التمثيلي والتشبيه الظاهر بالتشبيه غير التمثيلي، وإذا حققنا في الأمر يتضح لنا أن العلاقة بين التشبيه والتمثيل هي التباين والتغاير، كون التشبيه هو ما كان الوجه فيه بينا ظاهر، أما التمثيل فما كان الوجه فيه خفيا يحتاج إلى تأويل وتأمل فهما متباينان، كما أن الشواهد التي ينطبق عليها التشبيه لوضوح وجه الشبه لا ينطبق عليها التمثيل والعكس صحيح.[3] لهذا يقول عبد القاهر في قول قيس بن الخطيم:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورا

إنه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل كون التشبيه لا يوجد فيه التأويل لكن إذا قلنا في قول ابن المعتز:

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص194.

[2]- ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجيل، بيروت،ط1، 144-1991م، ص 215-216.

[3]- ينظر،المرجع نفسه، ص216.

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

هنا نقول إنه تمثيل فمثل الذي قلت ينبغي أن يقال لأن تشبيه الحسود إذا صبر عليه، وسكت عنه، وترك غيظه يتردد فيه، بالنار التي لا تمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا، مما حاجته إلى التأويل ظاهرة بينة.

وقد ضرب عبد القاهر لنا مثلا يبرز فيه التباين بين الضربين،« فهذا هو "ابن المعتز" قد كثر في شعره التشبيهات الحسية واشتهر بها وأحسن فيها أكثر من إحسانه في التشبيهات المعنوية ولهذا يقال، ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها وذاك عبد القدوس قد كثر في شعره التشبيهات المعنوية والعقلية واهتم بها أكثر من اهتمامه بالحسيات ولقد أحسن فيها وأبدع وما ذاك إلا بين الضربين تباينا وتغايرا»[1].

ومما تقدم يتضح لنا أن عبد القاهر يضيف في تجليته تلك الفروق التي ذكرناها سابقا أن التشبيه يشترك طرفاه في جنس وجه الشبه ونفس الصفة التي جمعت بينهما، أما التمثيل فإن طرفيه يشتركان في لازم الصفة ومقتضاها لا في حقيقتها وذاتها، فقولنا: خد كالورد تشبيه حيث اشترك طرفه في جنس الحمرة وحقيقتها، أما قولنا: كلام ألفاظه كالعسل حلاوة، فتمثيل لأن الطرفين لم يشتركا في جنس الحلاوة، بل في لازمها ومقتضاها أي: الحكم والأثر الناتج عنها وهو اللذة وميل النفس، ولكون اشتراك الطرفين في التمثيل يكون في لازم الصفة ومقتضاها، فقد احتاج التمثيل إلى التأمل والتأول وذلك حتى يتم الحصول على ذلك اللازم هو وجه الشبه الحقيقي بين الطرفين وهذا اللازم قد يكون منتزعا من نفس الصفة كما في قولنا: كلام ألفاظه كالعسل حلاوة، فوجه الشبه هنا هو اللذة وميل النفس ومنتزعا من الحلاوة ومن ذات العسل، وقد انتزع من شيء واحد وهو حلاوة العسل، ولذا سمي بوجه الشبه المفرد العقلي، وليس من الأخلاق ولا الغرائز وإلا لكان تشبيها. [2]

وقد لا يكون منتزعا من نفس الصفة، بل من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه كما في قوله تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص198.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص217.

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (سورة الجمعة، آية5)، فوجه الشبه هنا هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب، ولذلك فهو منتزع من الحمار والحمل والأسفار، وهذه الأمور قد امتزجت بعضها إلى بعض، فهو ليس منتزعا من الحمار وحده ولا من الحمل وحده ولا من الأسفار، وإنما من مجموع هذه الأمور، حمار يحمل كتب علم لا يفقه ما بها ولا يفرق بينهما وبين سائر الأحمال، كما أنه يتعب في حملها ويحرم من نفعها، وقد وبين عبد القاهر أنه يجب أن يكون التشبيه بها في قبيل التشبيهات المركبة[1]. وخلاصة القول هنا أن التشبيه التمثيلي عند "عبد القاهر الجرجاني" محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غريزي، سواء كان مفردا أم مركبا، وأن التشبيه غير التمثيلي محصور في كل تشبيه كان وجه الشبه فيه حسيا أو غريزيا، سواء أكان مفردا أم مركبا.

2-2-الفرق بين الاستعارة والتمثيل:

أراد عبد القاهر الجرجاني أن يبين حال الاستعارة مع التمثيل، أهي على الإطلاق، أم حدها غير حده، إلا أنها تتضمنه وتتصل به، فلقد مضى في الاستعارة أن حدها يكون للفظ اللغوي أصل ثم ينقل عن ذلك الأصل على الشرط المتقدم، كما أن هذا الحد لا يجيء في الذي تقدم في معنى التمثيل من أنه الأصل في كونه مثلا وتمثيلا وهو التشبيه المنتزع من مجموع أمور، ويحصل بجملة من الكلام أو أكثر، لأن فيه نجد ألفاظا في الجمل التي يعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللغة، وإذا كان كذلك يجب على الاستعارة أن تفيد حكما زائدا على المراد بالتمثيل[2].

إذا كان المراد بالاستعارة هو المراد بالتمثيل، لوجب أن يصح إطلاقها في كل شيء يقال فيه إنه تمثيل ، فالاستعارة ليست هي التمثيل في حد ذاتها على قول: رأيت أسدا فنحن نريد رجلا شبيها به في الشجاعة، وظبية نريد امرأة شبيهة بالظبية، فالتشبيه ليس هو الاستعارة، لكن الاستعارة كانت من أجل التشبيه وهو كالغرض فيها، وكالعلة والسبب في فعلها، فالتشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة كما أن التشبيه الكائن على وجه المبالغة غرض فيه، كذلك الاختصار والإيجاز غرض من أغراضها.

---

[1]- ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص217.

[2]- ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان)، ص94-95.

إن في المثال السابق، رأيت أسدا: أي رأيت شخصا يشبه الأسد في شجاعته، فهنا شبهه به في الشجاعة على أتم ما يكون، فهنا يمكن القول أن الاختصار والإيجاز يحصلان بها، أو هما غرضان فيها، كذلك حكم التشبيه معها، وإذا ثبت أنها ليست التشبيه على الحقيقة، كذلك لا يكون التمثيل على الحقيقة لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل. «فإذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار به من المحسوس والغرائز، كان حقها أن يقال إنها تتضمن التشبيه وإذا كان الشبه عقليا جاز إطلاق التمثيل عليها»[1].

مثلا: أبديت نورا" أي تريد علما وما شاكل ذلك، فهنا ينبغي أن نكون على علم بأنه ليس كل شيء يجيء مشبها به بكاف أو بإضافة مثل إلى الجملة يجوز أن تسلط عليه الاستعارة، وإنما يجوز ذلك إذا كان المشبه بين الشيئين مما يقر مأخذه ويوضحه ويسهل تناوله، وذلك حتى يكون المخاطب قادر على معرفة الغرض والمقصود من ذلك.

2-3- مواقع التمثيل وأسباب تأثيره:

ذهب الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، إلى أن التمثيل يقع في الكلام على وجهين:

1-«هو أن يجيء في أعقاب المعاني وذلك بأن يذكر المشبه به الذي به تمام التمثيل بعد كلام يتضح فيه أحوال المشبه».[2]

كما في قول ابن المعتز:

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفـــــــسها إن لم تجد ما تأكله

حيث يظهر من خلال هذا القول، بأنه مثلت حال الحسود يصبر على غيظه فيموت كمدا ،بحال النار التي تخمد إن لم تمد بالوقود اللازم ليدوم اشتعالها، وقد ذكر هنا المشبه به بعد كلام بين حال المشبه. ومثل قول البحتري: [3]

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة(علم البيان)، ص95.

[2]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص 199-200

[3]- المرجع نفسه، ص201

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

بحيث ذكر المشبه به هنا وهو البدر في علو مكانته ودنو ضوئه، بعد كلام اتضحت فيه حال المشبه وهي علو منزلة الممدوح فالطرفان أي المشبه والمشبه به قد صرح بهما، فجاء التمثيل على حد التشبيه الاصطلاحي.

2-«أن تبرر المعاني ابتداء في علو ثوب التمثيل، وتنقل من صورتها الأصلية إلى صورته حيث يجيء التمثيل على حد الاستعارة، فلا تذكر في الكلام حال المشبه».[1] كما في قول ابن لنكك يصف قوما لهم منظر حسن ومخبر قبيح: [2]

في شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

فمن خلال هذا البيت يظهر لنا أنه قد يكون الحال الممثلة المحذوفة إذا اقتضى السياق ملاحظتها وإرادتها كان الكلام تمثيلا وإن اقتضى عدم إرادتها ولا ملاحظتها بأي وجه من الوجوه فهي استعارة تمثيلية، ومن هنا يبدو أثر التمثيل واضحا جليا في إبراز تلك المعاني الممثلة حيث يكتسي الكلام جمالا ويرتفع قدره وتتضاعف قواه في تحريك النفوس وإثارة الوجدان واستمارة القلوب.

فإن كان المعنى الممثل مدحا كان أبهى وأنبل وأسرع للإلف وواجب شفاعة للمادح،[3] ويظهر ذلك من خلال قول البحتري:

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

ففي البيت الأول كان بمثابة دعوة لم يقم عليها دليل ولا تتلقاه بالقبول لكن إذا ما انضم إليه معنى البيت الثاني، وهو موطن التمثيل ارتاحت إليه النفس وتلقته بالقبول والرضا

وإن كان المعنى الممثل ذما كان مسه أوجع ووقعه أشد[4]

---

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص201

[2] - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- ينظر، المرجع نفسه، ص 202

وذلك على نحو ما نرى في قول مروان ابن سليمان" وهو يهجو قوما يرون الشعر ولا يفقهون معانيه ولا يفرقون بين جيده ورديئه: [1]

زَوَامِلُ لِلْأَشْعَارِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجِيدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الأَبَاعِـــــرِ

لَعُمْرُكَ مَا يَدْرِي البَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الغَرَائِر.

فالشاعر هنا يهجو هؤلاء يمثل حالهم في روايتهم وللشعر دون دراية معانيه ومعرفة جيده من رديئة، بحال البعير يغدو بأحماله ويروح دون أن يدري ما فيها، فالتمثيل هنا يظهر في أن تمثيل حالهم أشد وأقوى في الإيداع والإيلام من أن نصنفهم بالجهل، فنقول مثلا هم يحفظون الشعر ولا يفهمون مقصوده، حيث جاء في البيت الأول تشبيهان ظاهران لا يخفى أثرهما وهما: تشبيههم بالزوامل وتشبيه عملهم بعلم الأباعر.

وقد صار الذم في التمثيل أشد لذعا والهجاء أقوى إيلاما، وإن كان المعنى الممثل حجاجا كان برهانه أسطع وبيانه أبهر وذلك على نحو ما نرى في قول أبي تمام: [2]

وإذا أراد الله نشر فضيـــــلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

فهنا يشير الشاعر في البيت الأول إلى أن من الفضائل ما يظل مطويا حتى يتيح الله لها لسان حاسد فيكون سببا في نشرها وتعرف الناس عليها، فهذه دعوة ينقصها البرهان والدليل فلما مثلها في البيت الثاني بتلك الصورة المحسوسة، وهي أن النار تكون سببا في انتشار رائحة العود وإظهار طيبه، جاء هذا التمثيل بمثابة دليل لا يدع للنفس مجالا للإنكار والاستغراب[3].

فالمشبه أو الممثل في البيتين هو حال الفضيلة يتعرض عليها الحسود بالفضيلة فينتشر أمرها، والمشبه به أو التمثيل هو حال العود تشتعل فيه النار فتكون سببا في انتشار طيبه وظهور رائحته، ووجه الشبه المنتزع من الطرفين هو مجيء الخير من حيث يتوقع الضرر.

[1]- ينظر، بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص 201-202.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ، ص 202-203.

إن كان المعنى الممثل افتخارا كان بالتمثيل أظهر وأعظم شأنا، ففي قول المتنبي يعاتب سيف الدولة ومفتخرا بنفسه: [1]

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَــا عَيْبًــا فَيَعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللهُ مَا تُأْتُونَ وَالكَـــرَمَ

مَا أَبْعَدَ العَيْبَ وَالنُّقْصَانْ عَنْ شَيْمِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانَ الشَّيْبُ وَالهَرَمَ

نجد أن الشاعر هنا مثل حال العيب والنقصان بحال الثريا مع الشيب والهم، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من محاولة إلصاق شيء بشيء لا يلائمه ولا يتأتى إلصاقه به.

وإن كان المعنى الممثل وعظا كان أشفى للصدر وأدعى للفكر وأبلغ في التنبيه والزجر، فعند ما تقول للرجل ونحن نعظه " إنك لا تجزي على السيئة حسنة ألا تغر نفسك، فإنك لا تجني من الشوك العنب وإنما تحصد ما تزرع" فهنا يتضح لنا المعنى بالتمثيل قد صار أبلغ في الوعظ وأدعى للاستجابة والقبول[2].

وإن كان المعنى الممثل اعتذار كان أكثر قبولا وأقوى في انتزاع الغضب ويجذب العفو والسماح وفي قول أبي تمام وهو يشد معتذرا في مدحه للأمير أحمد بن المعتصم: [3]

لاَ تَنْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلاً شُرُودًا فِي النَّدَى والبَاسْ

فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَــلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً مِنْ المِشْكَـــاةِ وَالنِّبْرَاسْ

فهو يعتذر عن تشبيه الأمير بمن هم أقل منه بأن الله تعالى قد ضرب الأقل لنوره مثلا حيث قال عز وجل: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَات والأَرْض مَثَل نُورِه كَمِشْكاة فِيهَا مِصْبَاح المِصْبَاح زُجَاجَةٌ الزُّجَاجَةُ كأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَة مُبَارَكَة﴾ (سورة النور، آية 35).

فقد مثل حاله حين شبه الممدوح بمن هم أقل منه منزلة بتشبيه نور الله عز وجل بما هو أقل منه ضياء، والغرض منه الإيضاح بما تدركه الحواس، ولذا كان اعتذار أبا تمام أوقع في النفوس واذهب للغضب وأجلب للرضا والقبول.

---

[1]– ينظر، بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية ، ص 203.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص 202.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص 202.

وإن كان المعنى الممثل وصفا كان أكثر تجلية وإيضاحا للموصوف[1]، وفي قول البحتري يصف أخلاق ممدوحة:

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطُ حُسْنِ جِوَارِهَا خَلَائِفَ أَصْفَارٍ مِنَ المَجْدِ خَيْبَ

وَحُسْنَ دِرَارِي الكَوَاكِبِ أَنْ تَرَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبَ

فقد مثل الشاعر أخلاق ممدوحة "الفتح بين خفقان" وقد ازدادت علوا بمجاورتها أخلاق اللئام الحالين من المجد بالكواكب تزداد ضياء بطلوعها في دياجي الليل وبهذا التمثيل صار الموصوف أتم بيانا وأكمل جلاء[2].

وإن كان المعنى الممثل غزلا كان أظهر للوعة وأبين لهيام العاشق المتيم، وذلك على نحو ما نرى في قول نصيب يصور حال قلبه حينما سمع برحيل ليلاه وابتعادها عنه: [3]

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلُهُ قِيلَ يَعْدِي بِلَيْلِ العَامِرِيَةِ أَوْ يُـــرَاحْ

قِطِاطٌ مَسَّهَا شَرْكٌ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلَّقَ الجَانِحْ

لَهَا فَرْخَانِ قَدْ تُرِكَا بِوَكْرٍ فَعُشُّهُمَا تَصْفِقُهُ الرِّيَّـــاحْ

إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ نَصَّا وَقَدْ أَوْدَى بِهَا القَدَرُ المُتَاحْ

فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرْجِي وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بِرَاحْ

فالشاعر هنا يصور خفقان قلبه حينما سمع برحيل ليلى تصويرا دقيقا يبرز من خلاله أحزانه وآلام نفسه، ويظهر ذلك حين مثله بهذه القطاة التي وقعت في شراك الصائد فباتت ليلتها تجاذب الحبال التي علقت بجناحيها ولكن دون جدوى وهذه القطاة لها فرخان قد خلفتهما هناك في ذلك الوكر فهي خائفة من مصيرها حينما يسمعان هبوب الريح، فيظنان أنها قد أقبلت إليهما لكن لم تتح من الشراك، وأودى بها القدر ولم تستطع أن تنال ما تترجاه فإن قلب الشاعر هو تلك القطاة، وهنا يظهر أثر التمثيل في إبراز لوعة العاشق وتصوير هيامه وتجلية آلامه وأحزانه.

[1] – ينظر، بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص 202.

[2] – ينظر،المرجع نفسه، ص205.

[3] – ينظر،المرجع نفسه، ص205.

وهكذا يكون أثر التمثيل في مختلف المعاني، فهو يزيدها إيضاحا ويرفع من أقدارها ويحرك النفوس فتقبل على تلك المعاني في شغف وتصغي إليها باهتمام

2-4- أسباب تأثير التمثيل:

ترجع الأسباب إلى الأمور التالية:

- أنه ينقل النفوس من معنى خفي إلى معنى ظاهر وواضح، وذلك أنه_ ينقلها من معنى معقول إلى معنى محسوس،فالحسيات أقوى تأثيرا من العقليات وأسبق حصولا في النفس، وكذا ينقل التمثيل النفس من معنى يدرك بعد التفكير والنظر إلى معنى يدرك بالضرورة والبديهة، وينقلها من معنى مكني عنه إلى معنى مصرح به فتأنس النفس بذلك ويقر بها المعنى.[1]
- الجمع بين طرفين متباعدين وذلك حيث يصور الشيء من غير جنسه ويلتقط له وجه شبه من غير محله، فيكون له من الظرف واللطف ما لا يخفي، إذ يريك المتباعدين متقاربين والمتنافرين متآلفين، وكلما كان التباعد بين الشيئين أشد كان التشبيه ألطف وأغرب وأعجب وأطرب.[2] وهذا السبب من أسباب تأثير التمثيل، لا يختص بالتمثيل بل يتأتى أيضا في التشبيه الصريح.
- توليد معان كثيرة واستخراج أوجه شبه لأمور مختلفة بمراعاة أحوال مختلفة يكون عليها ذاك المصدر، وهذا سبب من الأسباب التي يرجع إليها تأثير التمثيل. [3]
- حاجة التمثيل في الغالب إلى إعمال الفكر وتقليب النظر وكثرة التأمل، حتى يتوصل إلى المعنى المراد وهذا الاحتياج مرده إلى خفاء وجه الشبه وغموضه،فهو يحصل و ينتزع من الطرفين بتأويل وصرف عن الظاهر، ورد كلام إلى كلام كما سبق، وما من ريب في أن الشيء إذا نيل بعد طلب له وإعمال فكر وكثرة نظر وتأمل، يكون أوقع في النفس وأشد

[1]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص206.

[2]- الموقع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991، ص252.

تأثيرها لأنه إنما تحصل بعد تعب ومشقة فهو لهذا يؤنس النفس وتجد في الوقوف عليه هزة وأريحية[1].

وخلاصة القول بأن الفكر في التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني مرده إلى دقة المعنى في ذاته، ثم هو لم يرد به ذلك الحد من الفكر والتعب الذي يبذل عند الألغاز، وإنما أريد به القدر الذي يحتاج إليه، فحاجة الكلام إلى الفكر موجودة ولو كان في غاية الوضوح والبيان فبذلك يتبين أن إعمال الفكر في التمثيل وراءه ثمرة، ويؤدي إلى غاية مرجوة.

2-5-بوادر التجديد عند عبد القاهر الجرجاني في البحث البلاغي:

يظهر من خلال ما درسناه أن عبد القاهر ورغم أنه من العلماء البلاغيين القدامى إلا أننا وجدنا أنه تناول في دراساته البلاغية العربية وعلومها مظاهر التجديد، حيث أنه أسس "لنظرية النظم" ووضع معالمها الأولى وركائزها الجوهرية، كما أنه يزاوج بين النظرية والتطبيق، أي كيف نكتب بطريقة سليمة، وكيف تحول المعاني والأفكار القابعة في نفوسنا وكيف نحولها إلى لغة وكتابة، فهو ينطلق في بحثه البلاغي من مقولة هي اليوم ضمن المقولات المعاصرة، وهي أن النص الأدبي تشكيل لغوي في الدرجة الأولى، وعلينا أن ننشد أسرار جماله في تحليل بنائه اللغوي، الذي يرجع إليه وحده ما في النص الأدبي من جمال وروعة، أو من فشل وإخلال، وهذه المقولة الناضجة هي ما عرف في فكر عبد القاهر باسم "نظرية النظم". كما اتخذها منطلقا أساسيا لدراسة البلاغة، وبخاصة علم المعاني كما تناول علم البيان. [2]

قام عبد القاهر في كتابه "أسرار البلاغة" برصد مباحث علم المعاني والبيان...، فقام بتوجيه جل اهتمامه إلى التشبيه والاستعارة والتمثيل، بحيث بحث كثيرا في هذه الصور كما لم يقم به أحد من قبله، فنجده يتبع فروع علم البيان بتعمق، حيث تناول كل من التشبيه والاستعارة مبينا ضروبهما وصورهما، وجوانب بلاغتهما المتنوعة من خلال بحثه للنصوص الأدبية كما ابتدع بعضها من ضروب التشبيه كمبحث التمثيل الذي هو ضرب منه (التشبيه) وقد خصه بدراسة بالغة

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص263.

[2]- ينظر: فاتح حميلي، ملامح التجديد عند عبد القاهر الجرجاني

Http// revues –univ- ouargla.dz, 2014,30/05/2014

العمق والبراعة، فهو صاحب الفضل الكبير على اللون البياني ومؤسس دعائمه ومقيم أركانه، وأحاطه بالعناية، وقد فرق بين التمثيل وسواه من صور التشبيه بأن التمثيل هو ما كان وجه الشبه فيه عقليا هيئة منتزعة من تعدد ويضرب عبد القاهر أمثلة كثيرة للتمثيل، ويحللها تحليلا أدبيا مستفيضا وموضحا.

ينتقل عبد القاهر أثناء التحليل في قضايا سيكولوجية كقضية الأنس والغربة والعيان والمشاهدة، والخلاف والوفاق والسهولة والتعقيد ومعرفة أثر كل منها على النفس، كما يتعرض لشرح الإدراك وقيامه على المعلومات التي تزد عن طريق الحس أولا ثم ازدياد ثروته بعد ذلك عن طريق الرواية والتأمل، ويميز بين إدراك الشيء جملة وإدراكه تفصيلا، وهنا يكون قريبا من نظرية الجشطالت وهي عبارة عن نظرية نفسية وتربوية تعتمد في المدارس كأحدث الطرائق البيداغوجية في التعليم خاصة في تعلم نصوص القراءة.[1] ومن هنا نرى أن لعبد القاهر سمات بارزة في نظرية النظم وتتمثل في حرصه على الذوق الجمالي والحس الفني في المتعة الأدبية.

وخلاصة القول أن النظرة إلى التمثيل بوصفه مجازا أو ضربا من ضروب الاستعارة بدأت تأخذ بعدا جديدا عند عبد القاهر الجرجاني، إذ جعل التمثيل قسما من أقسام المجاز، وجاء هذا التصنيف واضحا في دلائل الإعجاز، ولقد عد عبد القاهر التمثيل صنفا من أصناف المجاز مثله مثل الاستعارة، ومعنى المجاز هنا قائم على نقل الألفاظ من معناها الأصلي إلى معنى آخر مغاير إلا أن تصور عبد القاهر لأصل التمثيل هو قسم من أقسام التشبيه.

أ-القيمة الجمالية للتمثيل:

يقوم التمثيل عند الجرجاني على تمثيل فكرة عقلية أو نفسية أو انفعالية أو ما شابه ذلك، مما يدرك بالغفل وتجسيدها في صور حسية كما يرى أن معنى التمثيل أو مفهومه أقرب إلى روح اللغة وانه سمي "تمثيلا" لأنه يمثل الأمور المعقولة ويجعلها شامخة ماثلة في أمر محسوس ننظر إليه أو تذوقه أو تسمعه أو تناقشه وهو مأخوذ من المثال المنصوب أي من التمثال القائم بين العينين، وعمل الجرجاني على إبراز قيمة التمثيل الجمالية وأثر هذه القيمة في النفس بحيث اختلف

[1]- ينظر: فاتح حميلي، ملامح التجديد عند عبد القاهر الجرجاني

Http// revues –univ- ouargla.dz, 2014,30/05/2014

الجرجاني سائر البلاغيين إذ جعلوا التركيب هو المعيار الوحيد في التفرقة بين التشبيه المباشر والتمثيل بحيث يكون تمثيلا إذا أخذ وجه الشبه من عدة أمور إلا أن الجرجاني لم يجعل التركيب معيارا في التفريق بين التشبيه والتمثيل على الرغم من انه خصه باهتمام في حديثه عن التمثيل فهو ذكر أن العناصر اللغوية تتداخل حتى تكون شيئا واحدا يختلف في دلالته التخيلية كما كان عليه قبل التركيب وهذا الضرب عنده هو الجدير باسم التمثيل[1].

تظهر القيمة الجمالية للتمثيل عند الجرجاني في الأثر الذي يحدثه التمثيل في المعاني المعقولة وذلك عندما يجسدها في حيز محسوس واظهر قيمة ذلك في الأداء الأدبي كما عد وجه الشبه الصفة المحسوسة مما يزيد الصورة روعة وجمالا كونه ينقل المعنى من خفي إلى جلي (ظاهر) ويجسد الخواطر النفسية في صور حسية تقوم على التأثير[2] ويظهر روعة التجسيد الذي يحدثه التشبيه التمثيل في قول الشاعر "صالح ابن عبد القدوس"

وَإِنْ مَنْ أَدَبْتَهُ فِي الصِّبَا كَالْعُودِ يَسْقَى المَاءُ فِي غَرْسِهِ

حَتَى تَرَاهُ مُورِقًا نَاظِـرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِـهِ

يرى الجرجاني أن الشاعر سلك طريق تشبيه التمثيل ليجسد المعاني والأفكار التي يريد معالجتها فغايته من التشبيه تجسيد أمر معقول، الذي يتمثل في أثر التأديب في نفس الولد في مرحلة الصبا وجعله مجسدا شاخصا للعيان، فلقد جاءت في هذا البيت صورة النبات وسيلة لإبراز غاية الشاعر وفكرته فقام بتشبيه حال الصبي الذي يتعهد بالتأديب والرعاية في مرحلة الصبا بحال العود من النبات الذي يغرس ويتعهد بالري والرعاية حتى يزدهر وينمو ونجده هنا انه قد شبه

[1]- ينظر: محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند الجرجاني جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الأميرة علية الجامعية، مجلة بحوث علمية التربية النوعية، جامعة المنصورة د ط، 2011، ص 193-194.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 195-196.

المعقول بالمحسوس فأصبح الشبه شاخصا أمام المتلقي الذي يدركه بحسه وذلك يحصل بعد التأويل وإعمال الفكر. [1]

وخلاصة القول إن عملية تجسيد المعقول وتشخيصه عملية غايتها التأثير في نفس المتلقي وإثارة انفعاله، وذلك عن طريق تشخيص المعاني في صورة حسية يخيل للمتلقي أنها متحدة بها ومتمثلة فيها، فالتشخيص أقدر على فعل التمثيلات في ذهن المتلقي وإحداث الاستجابة المطلوبة فأورد الجرجاني بعض التمثيلات وذلك للكشف عن جماليات الصورة المشخصة .

نحو قول سعد بن ناشب: [2]

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ونَكَبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا

يتجلى من خلال هذا البيت الشعري أن سحر الصورة يكمن في هذا التشخيص الذي يتمثل في أن العزم واقف بين العينين فيكون هنا التأثير في النفس أبلغ.

مثال أخر: "تركض السحاب في السماء كركض الخائفين"، ففي هذا البيت أيضا نجد صورة التشخيص وتتمثل في أن السحاب تركض ركض الخائفين وبهذا يحدث التأثير في النفس لدى المتلقي. ومن هنا نجد أن الإمام عبد القاهر اهتم بدور المتلقي في تمثل الصورة، وهذا الدور قد بدا واضحا في نظره إلى مفهوم التمثيل، بحيث ذكر أن وجه الشبه قد يؤخذ من جملة أشياء يضم بعضها إلى بعض وهو ما اصطلح المتأخرون على تسمية "التمثيل" أو التشبيه التمثلي، كما بين دور المتلقي في تذوق هذا النوع من التشبيه، إذ يقيم المتلقي الذكي في نفسه صورة يفكك فيها أجزاء التركيب، ويمحو دلالته الإفرادية ثم يعيد سبكها في صورة جديدة تختلف تبعا لطبيعة المتلقي.

---

[1]- ينظر، محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند الجرجاني جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الأميرة علية الجامعية، مجلة بحوث علمية التربية النوعية، جامعة المنصورة د ط، 2011، ص 193-194.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص194

يبدو أن الجرجاني اعتمد على ثلاث قضايا مهمة في بناء الصورة وتتمثل في:

- **القضية الأولى:** هي المزج فالصورة هنا لا يمكن أن تتكون لدى المتلقي إذا اقتصر على جمع الأجزاء، بل تتكون من المزج والمبالغة فيه وذلك حتى تصبح شيئا واحدا وجديدا، وتقوم بإمحاء أوصاف الجزء وكأنها تفاعلت تفاعلا كيماويا، وينتج من هذه المواد المتفاعلة تركيبة لغوية جديدة. [1]
- **القضية الثانية:** هي محو الدلالة الإفرادية فهذه المسألة متصلة بسابقتها، بحيث يرى أن المزج تبطل فيه صور المفردات اللغوية ويسلب دلالتها قبل المزج، إلا أنه يكسوها دلالات جديدة تكون ضرورية في الإبانة والإيضاح. [2]
- **القضية الثالثة:** تتمثل في مجهود المتلقي في إبداع الصورة ويظهر ذلك في ان تفكيك أجزاء التمثيل ثم إعادة مزجها لتكوين صورة جديدة وهذا العمل لا يكون إلا من طرف القارئ والمتدبر أو البلاغي المتيقظ[3].

نستنتج مما سبق أن الجرجاني ركز على المتلقي اللبيب الذي يبدع في النص، ويشكل صوره ومفرداته وينزعها من دلالاتها القديمة ويصوغ منها صورا جديدة، كما يكشف خبايا النص وأسراره التي أودعها فيه صاحبه، عكس المتلقي السلبي المغفل، الذي لا يتأتى له الإبداع لأنه يحتاج إلى طلب وحنين ومعاناة وهذه لا تتوفر عنده، كما تتوفر عند المتلقي الحصيف المتأمل فبلاغة التمثيل لا تتجلى إلا بخفاء العلاقة بين طرفي التشبيه لكي تستحدث عقل المتلقي وقدراته على استنباط مواطن انتقال الدلالة من حيز المعقول إلى حيز المحسوس فيراه بذلك محسوسا شامخا أمامه بعد أن كان مجردا ويدركه مفصلا بعد أن كان مجملا.

ومن خلال ما رأيناه في نظرة الجرجاني لمفهوم التمثيل، نجد أن لها مساحة واسعة في جهود النقاد المحدثين، فكانت نظراته على تفكيك أجزاء التركيب في التمثيل، ومحو دلالتها

---

[1]– محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني، ص198–199.

[2]– المرجع نفسه، ص198–199.

[3]– المرجع نفسه، ص199–200

الإفرادية وإعادة مزجها بصورة جديدة يفيض عليها المتلقي من نفسه ومشاعره، مثلت بدور الفكر النقدي الحديث في هذا المجال[1].

ب-معالم تربوية في تحليل الجرجاني للتمثيل:

قام عبد القاهر الجرجاني بمقارنة آرائه في إدراك القارئ لجماليات التمثيل بنظريات التربويين في الإدراك بذلك ولمح إلى مبادئ تتمثل في حديثهم عن ضرورة التدرج من الكل إلى الجزء (الجشطالت)، و عن ضرورة مراعاة الفروق الفردية لدى المتعلمين كما تحدثوا عن ضرورة التدرج من المحسوس إلى المجرد. وتعتبر هذه المبادئ قارة مستقرة لدى التربويين في مجال التعليم التي أثبتها البحث النظري والتجريبي في ميدان علم النفس، وقد سبق عبد القاهر أصحاب نظرية (الجشطالت) عندما تحدث عن مسألة التفصيل والإجمال، فقد بنى أفكاره في هذه المسألة على أسس نفسية في أن العقل يدرك الأشياء جملة أسهل من إدراكه لها تفصيلا، وأن إدراك الجملة أسبق إلى النفس من إدراك التفصيل[2].

نلحظ هنا أن الجرجاني ركز على صورة انتقال المتلقي المبدع من المتأني الإجمالي إلى التفصيلي، وذلك بتجاوز النظرة العاجلة إلى النظرة المتأملة، لأن جمال التصوير الأدبي لا ينكشف إلا بتأمل وتعمق في التفاصيل وبإدراك الفروق الخاصة بين الأشياء، كما أن مسألة التفصيل لا يتوقف فقط على المتلقي وإنما تشمل المبدع الأول للنص، فالمبدع يعمد إلى التفصيل ويجعل المتلقي يغوص في دقائق تفاصليه المركزة فيكتشفها ويبدعها، كما تنبه إلى الأسس النفسية التي يقوم عليها الإدراك، حيث إن الجملة دائما أسبق إلى النفوس من التفصيل، فالجمل نجدها تقع في الخاطر أولا، والتفاصيل لا تحضر إلا بعد إعمال الرواية، فالاشتراك في الصفة إذا كان من جهة الجملة بحيث لا يشبه شيء من التفصيل، نحو أن كلا الشيئين أسود فهنا نجد أنه لا يحتاج إلى إعمال الفكر، لكن إن دخل في التفصيل شيء مثلا هذا السواد صاف براق احتاج بقدر ذلك إلى إعمال الفكر وإن زاد تفصيله بخصوصية احتاج إلى فضل تأمل، وازداد الأمر قوة في اقتضاء

---

[1]-. ينظر، محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني، ص200

[2]- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفكر، كما ذكر الفروق الفردية وهي تلك الصفات التي يتميز بها كل فرد عن غيره من الأفراد، وهذه الصفات قد تكون إنفعالية أم جسمية، أم في سلوكه الاجتماعي، ويجب مراعاة هذه الفروق في التعامل مع المتعلمين، لأنه من أسس الصحة النفسية والتربية السليمة، فمعرفة الفروق الفردية تساعد الفرد على أن يفهم نفسه ويشغل مواهبه وإمكانياته، وذلك بطريقة إيجابية للنجاح في حياته اليومية. [1]

وخلاصة القول إن الجرجاني أعطى لهذا المبدأ التربوي أهمية قصوى في إدراك جماليات التمثيل وجمال الصورة، حيث تحدث عن دور المتلقي في إبداع صورة تشبيه التمثيل بحيث أشار إلى صنفين من المتلقين متلقي لبيب يقظ القادر على سبر أغوار النص وفك مغالقه، ومتلقي غير خبير، غير عالم وعليم، وغير قادر على كشف خبايا النص والمطمور فيه، وهذا التفاوت بينهما يؤدي إلى اختلاف في إدراك الصورة، وهو الأمر الذي أعلى من شأنه التربويون المحدثون، إذ جعلوا من ركائز التعلم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

ونجد عند الجرجاني مبدأ ضرورة التدرج من المحسوس إلى المجرد، فقد اهتم به التربويون كثيرا بحيث جعلوه ضمن قواعدهم العامة في التعليم، وهذا المبدأ جعله الجرجاني سببا قويا ظاهرا في جمال التمثيل وفي بلوغه الغاية في التأثير في النفوس.

[1]– ينظر، محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني، ص201

3-عند الزمخشري:

يرى الزمخشري[1] «ان التمثيل هو أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضح ألفاظا تدل على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة منه والتمثيل عنده هو التشبيه ولا فرق بينهما».[2]

إن الزمخشري قد أطلق أسلوب التمثيل على التشبيه والسبب في عدم تفريقه بين التشبيه والتمثيل، يرجع إلى أن وجه الشبه في التشبيهات القرآنية يغلب أن يكون عقليا تمثيلا سواء أكان مركبا أو كان متعددا أو مفردا، نحو قوله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهِم وأَشْهَدَهُمْ عَلى أنفُسِهِم أَلَسْتُ بِرِبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (سورة الأعراف، الآية 172)، فهذا يعد من باب التمثيل، وهو واسع في كلام الله ورسوله عليه السلام، وفي كلام العرب، كما قد يتحقق عند الزمخشري المجاز (الاستعارة والتمثيل) في القول الواحد في نظره، وقد بين أنه وقع في قوله تعالى: " ختم الله على قلوبهم فقال في بيان اجتماعهما ما نصه: (فإن قلت ما الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لاختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما الاستعارة والتمثيل[3].

وفي تقسيم الزمخشري المجاز إلى استعارة وتمثيل مخالفة للتقسيم الشائع للمجاز، والتمثيل في حقيقة أمره هو الاستعارة التمثيلية، ومن أمثله وقوع الاستعارة والمثل في آن واحد عند الزمخشري ما بينه، في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارَ ولَكِنْ تَعْمَى القُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدورِ﴾ (سورة الحج، الآية 46). فهناك من يعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب استعارة وتمثيل، لكن هناك من يعتقد خلاف ذلك بحيث ينسب العمى إلى القلوب وينفيه عن الأبصار، و بذلك احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وتعريف ليؤكد أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار.

1- أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (467هـ-538هـ) من مؤلفاته " أساس البلاغة" و"تفسير الكشاف المشهور".

2- الشارف لطروش، المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف، دار أمر الكتاب للنشر و التوزيع، د.ط، رقم الايداع، 277،2010، ص98.

3-ينظر، المرجع نفسه، ص97

يقول الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة:

﴿واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ...﴾ (سورة لقمان، الآية 19)، «وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولى المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرحلة، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وأخرجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، وهنا قد بالغوا في الذم والتهجين وأفرطوا في التثبيط عن رفع الصوت، وهذا كله من كراهة الله أي أن الله تعالى يكره رفع الصوت»[1].

ويظهر هنا أن التشبيه في الرافعين أصواتهم بالحمير تشبيها ضمنيا، لكن الزمخشري أطلق على التشبيه الأول تشبيها والثاني أي تشبيه أصواتهم بالنهاق ويسميه هو تمثيلا، كونه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل بل جعلها مترادفين لشيء واحد، وهو إلحاق أمر بآخر في معنى واحد ومشترك بينهما، وذلك بأداة ملفوظة أو ملحوظة، ولعل عدم تفريقه بينهما يعود إلى الدلالة اللغوية للفظين فدلالتهما في اللغة واحدة.

4- عند السكاكي:

إن منهج السكاكي[2] يختلف عن منهج عبد القاهر الواضح فقد أوضح في مقدمته أن مراده كان جمع كلام السابقين وتمييزه واختيار المناسب منه وتلخيصه، فالبيان عنده يقع في منطقة ما بين الشعر والمنطق وبين وظيفة التخيل ووظيفة المعرفة والاستدلال.

يذهب الإمام أبو يعقوب السكاكي رحمه الله إلى أن التمثيل هو ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقي ويكون منتزعا من أمرين أو من عدة أمور، وبهذا يكون التمثيل أخص أي يخصه بالمركبات العقلية وجعل ما عداها تشبيها، كما قام السكاكي بتقسيم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تشبيه تمثيلي وهو ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا غير حقيقي، والتشبيه غير التمثيلي وهو

---

[1]- الشارف لطروش، المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف الشارف لطروش، المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف ، ص97.

2-يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، (555هـ-626هـ) من مؤلفاته "مفتاح العلوم".

ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ذلك وهذا صادق بالعقل الحقيقي وان يكون مفردا وكذا العقلي غير الحقيقي إذا كان مفردا وكذا جميع الحسيات مفردة كانت أم مركبة[1].

ولعل السكاكي رحمه الله قد نظر إلى عناية الإمام عبد القاهر الجرجاني بالمركبات العقلية واهتمامه بها وتصريحه بأنها هي الأولى أن تسمى تمثيلا، وذلك حين يقول: « وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر»[2].

5-عند القزويني:

تأثر القزويني[3] بشيخه السكاكي فلم يبتعد كثيرا عن منهجه وجميع أقوال عبد القاهر في الدلائل.

يذهب إلى أن التمثيل هو ما كان وجه الشبه مركبا قد انتزع من أمرين أو عدة أمور، سواء أكان عقليا أم كان حسيا، فالوجه العقلي كما في قول عبد الله ابن المعتز:

واصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفـــــــسها إن لم تجد ما تأكله.

أما الوجه الحسي كما في قول بشار: [4]

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يظهر في هذا البيت أن وجه الشبه فيه مركب حسي وهو الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار ومتفرقة في جوانب شيء مظلم ولذا كان تمثيلا عند القزويني فهو ينظر في تفريقه بين التشبيه والتمثيل إلى التركيب والإفراد، وما كان الشبه مفردا فهو تشبيه سواء

---

[1]-ينظر، السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي، ص11.

[2]- بسيوني عبد الفتاح فيود،دراسات بلاغية ، ص192.

[3]- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر ويلقب بجلال الدين أبي المعالم ولد في سنة 666هـ وتوفي سنة 739هـ قام بتلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي

[4]- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية،ص193

أكان عقليا أم حسيا،أما ما كان وجه الشبه فيه مركبا فهو تمثيل سواء أكان حسيا أم عقليا، فهو لا يعتمد في تفريقه بين التشبيه والتمثيل إلا بتركيب الوجه وإفراده، ولا ينظر إلى كونه حسيا أو عقليا.

III-الفرق بين الاستعارة والتمثيل:

الفروق الموجودة بين الاستعارة والتمثيل تتمثل فيما يلي:

أول فرق بين الاستعارة والتمثيل يظهر في الأساس الذي يقوم عليه كلا من الفنين البيانيين فالاستعارة تقوم على النقل من الأصل المعروف أو المعنى الذي دل عليه باللفظ الوضعي أو شيء آخر لم يوضع له ذلك اللفظ ولم يعرف عند أصحاب اللغة وواضعيها، أما التمثيل فيعتمد على انتزاع الشبه من جملة من الكلام أو ما في حكم الجملة من قبل العقل بضرب من التأويل ومن هنا يظهر الفرق بينهما كون الاستعارة تكون في اللفظ والتمثيل يكون في الجملة أو أكثر أو شبه جملة[1].

الفرق الثاني كما يقول عبد القاهر أنه: (إذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز فهي إذن تشبيه وليس تمثيلا وبذلك فإذا كان الشبه عقليا وليس محسوسا فيمكن أن نطلق عليه تمثيلا.[2]

الفرق الثالث أن يكون الشبه بين المستعار منه والمستعار له مما يسهل على القارئ أو المتلقي تناوله وفهمه حتى يتمكن المخاطب أو المتلقي إذا أطلقت له اسم أن يعرف الغرض من إطلاق ذلك الاسم ويفهم القصد منه والسبب في ذلك لوضوح الأمر والغرض من الاستعمال[3].

مثلا: كلمة الشمس فهذا اللفظ يدل على أن المراد منه هو النور وهو أمر خاص يتعلق بالشمس أي يقاس عليه أي الحسن، ومثال آخر عندما نشبه رجلا بالبحر ويظهر التشبيه به في العطاء والفيض، وهكذا فاستعارة الاسم للشيء على معنى ذلك الشبه تأتي سهلة وتقع

---

[1]-ينظر: ابن عبد الله شعيب، البلاغة العربية الواضحة، علم البيان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص135.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - ينظر، المرجع نفسه، ص 136.

مألوفة، أما الشبه في التمثيل فيحتاج إلى النظر في استنباطه والتأمل وعليه لا يظهر إلا بعد أن تكتمل الجمل وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ...﴾(سورة يونس، الآية 24). فهنا لا يمكن أن نقول إن الحياة ماء، وإنما الحياة الدنيا ماء أنزلناه من السماء، فالقول هنا لا يستقيم ولا يمكن أن يحتوي على معنى إلا إذا قلنا: (أنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء" والسبب يعود في عدم تصور شبه بين الدنيا والماء، إذن يجب أن تكتمل الجمل ليأتي الشبه على النحو الذي تتم به المعنى[1].

الفرق الرابع هو أن الشبه في الاستعارة يكون مفردا وذلك كاستعارة (الظلمة للجهل والكفر والنور للعلم والهداية) أما التمثيل فلا يأتي على هذا النحو بل يكون مركبا من جمل مثل قوله:" أخذ القوس باريها"، فلا يمكن أن يكون القوس استعارة للخلافة والباري استعارة عن مستحقها فهنا لا يظهر شبه بين القوس والخلافة أو بين الباري والمستحق وإنما الشبه يمكن من حال الخلافة مع القائم بها ومن حال القول مع باريها (وهو يتمثل في أن كل واحد منه يعرف الشيء ويستحقه هو لأنه هو يحسن استعماله وكيف يستفيد منه وبه[2].

الفرق الخامس هو أن الاستعارة لا تفيد الشبه وحده بل تزيد في المبالغة عليه والإدعاء في إثبات المعنى وذلك يتم في أقل العبارات وأكثرها اختصارا، أما التمثيل فهو غير ذلك وإنما يعتبر نوعا من أنواع التشبيه[3].

IV-الموازنة بين هذه الآراء:

يتضح من خلال هذه الآراء، أنها قد اتفقت على أن التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه مفردا حسيا أو عقليا حقيقيا فهو تشبيه صريح ظاهر وليس تمثيلا وذلك كقولنا: محمد كالبدر ضياء. كما اتفقت أيضا على أن التشبيه إذا كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا فهو تمثيل وليس تشبيها صريحا كما في قول ابن المعتز:

---

[1]- ينظر، ابن عبد الله شعيب، البلاغة العربية الواضحة، علم البيان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص137.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 138.

[3]- المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفســــــــها إن لم تجد ما تأكله

ورغم هذا الاتفاق في بعض النقاط إلا أنها اختلفت فيما كان الوجه فيه مفردا عقليا غير حقيقي، فعبد القاهر يقصر تشبيه التمثيل على ما كان الوجه فيه عقليا غير غريزي سواء أكان مفردا أم مركبا، وحجته في ذلك أن مثل هذا الوجه يحتاج في تحصيله إلى إعمال الفكر ولطف روية، كما أنه يبقى التمثيل كما كان الوجه فيه حسيا مركبا مع أن هذا الوجه وإن كان مدركا بالحواس إلا أنإنتزاعه من الطرفين يحتاج إلى إعمال الفكر وإلطاف الروية، كالوجه العقلي فينبغي أن يكون التشبيه المعقود عليه من قبيل التمثيل، إلا أن عبد القاهر لم ينظمه في سلك التمثيل.

كما اختلفت أيضا فيما كان الوجه فيه مركبا حسيا فانفرد الخطيب القزويني بجعله تمثيلا، فلقد أطلق اسم التمثيل على ما كان الوجه فيه مركبا سواء أكان حسيا أم عقليا وإهمال ماكان الوجه فيه مفردا عقليا غير غريزيمعأن هذا الوجه لا يمكن تحصيله والوصول إليه، إلا بعد كد الذهن وإرهاق الحس،لأنه يستلزم صرف اللفظ عن ظاهره وإرادة مقتضاه ولازمه. [1]

ونجد السكاكي يخص التمثيل بما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا، لأن هذا الوجه المركب يحتاج إلى إعمال الفكر وإرهاق الحس للوصول إليه، ولقد أهمل السكاكي المركب الحسي كما أهمله عبد القاهر الجرجاني، مع أنه مشارك للمركب العقلي كونه يحتاج إلى بذل الجهد حتى يمكن تحصيله والعثور عليه. إلا أن الزمخشري يعتبر التمثيل عنده هو التشبيه ولا فرق بينهما، فلقد كان يطلق التمثيل على التشبيه والاستعارة التمثيلية، والسبب في عدم تفريقه بين التشبيه والتمثيل، يرجع إلى أن وجه الشبه في التشبيهات القرآنية يغلب أن يكون عقليا تمثيلا، سواء أكان مركبا أو كان متعددا أو مفردا. [2]

فإذا تأملنا جيدا في كلام هؤلاء العلماء حول التمثيل والتشبيه نجدهم يعتمدون في إيضاح الفرق بينهما على بذل الجهد والمشقة أم العكس من ذلك فإذا كان الطريق إليه سهلا وميسورا لوضوحه، سموا التشبيه المعقود عليه تشبيها غير تمثيلي،أما إذا كان الطريق صعبا وذلك بدقته

[1] – ينظر، السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي ، ص18.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص19.

وبعده فسموه "تشبيها تمثيليا". أما إذا كان الأمر كذلك أي صعبا يتطلب بذل جهد و مشقة، فيكون الفرق كالتالي:

أولا: التمثيل هو ما كان الوجه فيه دقيقا لا يدركه ولا يفطن إليه إلا أصحاب الأذواق السلبية الذين ارتفعوا عن طبقة العامة كما يتحقق في:

أ- ما كان وجه الشبه فيه مفردا عقليا غير غريزي

ب- ماكان وجه الشبه فيه مركبا عقليا

ج- ماكان وجه الشبه فيه مركبا حسيا.[1]

ثانيا: التشبيه هو ماكان وجه الشبه فيه واضحا بينا لا يحتاج إلى إعمال الفكر ولطف رؤية كما يتحقق في:

أ- ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسيا

ب- ماكان وجه الشبه فيه عقليا حقيقيا والشأن في مثل هذا الوجه ان يكون مفردا.[2]

من خلال ما سبق وما رأيناه حول التمثيل والصور الأخرى أي كل من الاستعارة و التشبيه نجد أن التمثيل هو إحداث علاقة بين الطرفين (المشبه و المشبه به) من خلال جعل أحدهما تمثيلا وتجسيما للطرف الأخر، بحيث يكون أحدهما عين الأخر مثل قول : القناعة كنز لا يفنى، فهنا نواجه تركيبا يختلف عن التشبيه والاستعارة، ففي التشبيه نقوم برسم حدود فاصلة بين القناعة والكنز: القناعة كنز، أما في التمثيل فنزيل الحدود بين الطرفين ونقول: القناعة كنز لا يفنى فتصبح القناعة هي عين الكنز.

ووجدنا هنا أن الفارق بين التمثيل وبين ما تقدمه من الاستعارة والتشبيه هو أن التشبيه يتضمن علاقة من خلال أدوات التشبيه وعباراتها، أما التمثيل فهو بمثابة تشبيه حذفت أداته فزالت الفارقة بين الطرفين وأصبح أحدهما (تمثيلا) للآخر لا تشبيها به، أما المعيار الذي نفرق من خلاله بين (التمثيل) و(الاستعارة) فهو أن في الاستعارة نجعل لأحد الطرفين صفة الطرف الآخر،

[1]- ينظر، السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي، ص19.

[2]- ينظر،المرجع نفسه، ص20.

كما لو قلنا: أبواب الإجابة مفتوحة حيث تجعل للإجابة الأبواب أما في التمثيل نحو: الجهاد باب من أبواب الجنة، فهنا لم نجعل للجهاد صفة باب الجنة، وإنما مثلناه وجسمناه في باب من أبواب الجنة، وحتى في حال جعل الاستعارة طرفا نحو: الجهاد باب من أبواب الجنة فهو لباس التقوى، فإن في هذه الحالة الاستعارة تعد تمثيلا لباب الجنة ،ففي الاستعارة يصبح إحداث العلاقة بين الطرفين إعارة طرف لصفة الآخر، وفي التمثيل تجسيم طرف لآخر وفي التشبيه مشابهة طرف لآخر.

الفصل الثاني

التمثيل في القرآن الكريم

1-التمثيل في القرآن

2-أسرار التمثيل في القرآن الكريم

3- خصائص التمثيل في القرآن الكريم.

4- مفهوم الجمال البلاغي.

5-أصناف جماليات التمثيل الواردة في القرآن الكريم.

5-1- الجماليات المتعلقة بالأساليب

5-2-الجماليات المتعلقة بمقاصد التمثيل

6-أهمية التمثيل و قيمته

يعتبر القرآن الكريم من أهم النصوص التي يركز عليها علماء البلاغة لما يحتوي عليه من أساليب بيانية مختلفة منها أسلوب التمثيل القرآني الذي يتميز بخصائص فنية لا توجد في غيره من النصوص الأدبية ويعد من مظاهر الاعجاز في القران الكريم، فتركيبه لا يقدر عليه إلا خالق الأرض و السماوات.

1-التمثيل في القرآن:

إن التمثيل في القرآن الكريم أسلوب فوق طاقة البشر، فهو ينطوي على كثير من اللطائف والأسرار التي تحرك الأحاسيس والمشاعر، و قد تم استخدامه على أتم وجه، فنجد التمثيل يؤثر تأثيرا قويا في النفوس ويبرز المعقول في صور مجسمة، ويلبس المعنوي ثوب المحسوس، ولهذا نجد الأدباء قد التفوا حوله، وذلك ليستعينوا بها في إبراز صورهم الأدبية موجبة معبرة بوضوح عن المعنى الذي يسيطر على المقام.

نذكر بعض من هؤلاء الأدباء منهم:

- الزمخشري: في قوله: " التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وغن كان صغيرا كان المتمثل به كذلك"[1]
- وقال ابراهيم النظام:" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"[2]

فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للألف وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح أوجب للمادح وأقصى بغر المواهب والمناهج وأسير على الألسن وأفكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر،وإن كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألذع ووقعه أشد وحده أحد، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأنه أبعد وشرفه أشد ولسانه ألذ، وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب

[1]- السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي ، ص 20-21.

[2]- المرجع نفسه، ص 20-21.

وللقلوب أخلب وللسخائم أشد، ولضرب الغضب أقل وفي عقد العقود أنفت وعلى حسن الرجوع أبعث وإن كان أشفى للصدر وادعي إلى الفكر وأبلغ في التشبيه والزخر وأجدر بأن يجلى العناية ويبصر الغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل[1]. وللتمثيل أسرارا كثيرة لا توجد في غيره من فنون البيان العربي، ويرجع الفضل في اكتشاف معظمها إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

2-أسرار التمثيل في القرآن:

يشتمل التمثيل على أسرار عديدة تتمثل في أنه يقوم بالتأثير على النفوس، كما يبرز المعقول في صورة مجسمة، و يلبس المعنوي ثوب المحسوس و يقوم على الايجاز و الايضاح، كنا يرفع الأستار عن الحقائق و يقرب المراد للعقل ويعرضه في صورة مشوقة. [2]

ونذكر مثال من القرآن الكريم نوضح من خلاله هذه الأسرار:

كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ اَلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة، آية 5).

من خلال الآية الكريمة نجد أنه قد شبه اليهود بالحمار في قوله: مثلهم كمثل الحمار الذي لا يعقل، ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقا حين يقرب بقية أجزائهاإليها من حمل الأسفار، وعدم المعرفة بما فيها، والاعتقاد بأنها كبقية الأحمال التي تجهد القوى، وذلك يطابق حال اليهود، وقد منحوا التوراة لتكون لهم نبعا يستقون منه الحكمة والهداية، إلا أنهم لا يتدبروها وكان على قلوبهم الأقفال.إذن فتمام الصورة يحصل بتجميع كل هذه الأجزاء ومن هنا تبرز الصورة قوية التعبير وصادقة الأداء.

من هنا نستنتج أن التشبيهات التمثيلية قد رفعت الأستار عن الحقائق فأرتنا المتوهم متيقنا والمتخيل متحققا وألبست المعنوي ثوب المحسوس، وأبرزت المعقولات في صورة مجسمة وقد كشفت عن ملامح الخبيئات وصورت فأجادت وأكسبت المعاني النبل والشرف.

---

[1]- ينظر، السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي، ص 22.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 23.

3- خصائص التمثيل في القرآن:

أ- تماسك الصورة التمثيلية في القران تماسكا شديدا بحيث يظهر أن الصورة تزداد قوة والتصاقا حين يقرن بقية أجزائها إليها، لأن القوة البيانية متمثلة في إعطاء الفكرة عن طريق الصورة لا تمثيلية مركبة الأجزاء، فلا يجب محاولة فصل أحد الأجزاء لأنه سيفرط عقد الصورة وتنتثر معالم الجمال فيها.[1]

ب-انتقاء ألفاظ التمثيل في القران واختيارها اختيارا مناسبا للمعنى فالتمثيل في القران كان موحيا يؤثر في القلوب بطريقة فنية ونفسية عجيبة.[2]

فمثلا في قوله تعالى:﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ اَلْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ اَلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (الكهف، الآية 45).

فهذه الآية ترمي إلى هدف وهو عدم الثقة في الحياة الدنيا إلى حد اعتبارها خالدة وأنه لا حياة بعدها وتمثل قمّة التعبير الأبدي عن هذا المعنى الخالد. ونجد أن التشبيه في القران قد لجأ ليصور فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا وعامرا بألوان الجمال، فيخيل إلينا استمراره وخلوده، فيشبهها بالماء الذي يرتوي منه الزرع فيصبح بهيجا، إلا أنه لا يلبث أن يذبل، ولقد أوجز القرآن في هذا التشبيه، وأطنب ليستقر معناه في النفس ويحدث أثره في القلب.

ج-إن عناصر التمثيل في القرآن الكريم مستمدة من الطبيعة، بحيث نلحظ مدى ارتباط الإنسان بهذه الطبيعة التي تمثل المسرح الذي يمثل عليه الجنس الآدمي دوره في الحياة، ومن هنا فإن التمثيل في القرآن مستمر استمرار الطبيعة نفسها، وهو يختلف عن التمثيل عند العرب في الجاهلية مثلا، لأن هذا الأخير مستمد من بيئة خاصة لا يدركه إلا من عاش فيها، لكن التمثيل في القرآن يدركه الناس جميعا، فالطبيعة تعد ميدان التمثلات القرآنية[3].

و في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَلاَلُ البَعِيدُ﴾ (سورة إبراهيم، الآية 18).

---

[1]- ينظر، السيد محمود شيخون،الإيضاح في التمثيل البلاغي، ص29-32.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص29-32.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص41.

تمثل هذه الآية الكريمة أعمال الكفار في ضياعها وذهابها إلى غير عودة بالرماد الهش الذي تذروه الرياح وتذهب به بعيدا إلى حيث لا يتجمع أبدا، فالقرآن هنا يتخذ الرماد وهو عنصر من عناصر الطبيعة مثلا لأعمال الكفار الضائعة، ثم يبلغ قمة التأثير حينما يضم إلى الرماد الريح الشديدة العاتية، كون الرماد لا يقدر أن يصمد أمام الرياح الشديدة، وإنما تتفتت ذراته ويصبح لا شيء ، وأعمال الكفار مهما كثرت كهذا الرماد الذي انعدم وتلاشى في جوف الرياح الهادرة[1].

ننظر إلى القرآن عندما يبلغ قمة التأثير حينما يصور حال المعوقين عن الجهاد وما يدور من الفزع والقلق والاضطراب، ويقول تعالى:﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ18 الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاَ أَشِحَّةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا19﴾، (سورة الأحزاب، الآية 18-19).

تظهر في الآيتين الصورة الأولى التي تتمثل في صورة المعوقين عن الجهاد، الذين لا يريدون أن يتحملوا نصيبا من أعبائه، فهم ذو نفوس قلقة، يتنازعها الخوف الذي يسيطر عليهم، والصورة الثانية هي صورة من يعالج سكرات الموت يتنازع نفسه الخوف العميق من الجزاء المحتوم، دون أن تكون عنده القوة أو الإرادة التي يعتمد عليها في موقفه. [2]

نلحظ هنا أن صورة المشبه به موحية بما كان عليه أولئك المعوقون للجهاد من ضعف في الإرادة، وهنا يدعو إلى النظر، والتأمل في الكلمات التي اختيرت للمشبه به، ونظمت منه صورته، فهذه الصياغة صياغة إلهية يقف البشر أمامها عاجزين ومذهولين، ففي هذا التمثيل قوة التأثير وجمال التعبير ما يعجز عن إدراكه علماء البيان.

[1]- ينظر، السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي ، ص43.

[2]-ينظر المرجع نفسه، ص44

4-مفهوم الجمال البلاغي:

يعتبر الجمال إحساس داخلي، ينبثق من داخل النفس الإنسانية، وذلك باستحسان أسلوب ما أو صورة معينة، والجمال في القرآن، هي علم الجمال القرآني وهو يشمل على التركيب الجزل والصور البديعة، والحكمة البليغة والتصور الكامل، وعلم البيان هو الوسيلة التي تجلو معاني الصور البيانية الواردة في كلام العرب، كما يقوم بكشف النقاب على باب عظيم من أبواب الإعجاز في القرآن الكريم، وهو الاعجاز البياني، وفن التشبيه أحد اهم أبواب هذا العلم، وأكثر الصور الأدبية حضور فله أبواب متعددة وأصناف كثيرة، ومن أحد أقسام هذا الباب نذكر فن التشبيه التمثيلي ونسعى لنلتمس جمالياته، ومحاسنه في القرآن الكريم، وملاحظة أثرها البالغ في إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة.

-أصناف جماليات التمثيل الواردة في القرآن الكريم:

إذا نظرنا إلى التمثيل في القرآن، وجدنا أسلوبا عجيبا، وكل من يتأمل لهذه الجماليات الإبداعية الواردة في القرآن الكريم يلحظ تنوعها وتعددها من حيث الأصل والمبدأ، ومن حيث الأسلوب والطريقة، وحينما نبحث عن صورة من الصور البيانية، يلفت انتباهنا إلى صورة التشبيه التمثيلي المتضمنة في القرآن العظيم، وبذلك قمنا بتحديد بعض الجماليات وأقسامها المتعددة، تتضح لها معالمها وتستبين علاقتها مع التمثيل، ونذكر هذه الأصناف.

أ- الجماليات المتعلقة بالأساليب:

وتظهر فيها الخاصية الأولى التي تتمثل في المقابلة بين وجوه الشبه في طرفي التمثيل، فالتقابل في التمثيل من مبتكرات القرآن، فهو يقوم بتشبيه الصفة الأولى مع صفة ما في المشبه به، وصفة ثانية مع صفة أخرى غيرها في الممثل به، وهكذا يحدث التقابل في أذهاننا لصور متعددة متجاورة يتلخص منها الوجه الحقيقي المراد من التشبيه[1]، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ

[1]- ينظر: محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية
17/11/2014 www.mf-hamdi.net

إِلَى الأَرْضِ وَاتَبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾(سورة الأعراف: الآيتين: 175-176).

ففي هذه الآيتين نلحظ مقابلة أجزاء المشبه لأجزاء طرفه الثاني، وذلك في صورة منسجمة تأخذ الذهن في مقارنات متعددة، وفيها تتقيد أجزاء التمثيل بأن يشبه الضال بالكلب، ويشبه شقاؤه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين بلهث الكلب في حالة تركه، فهنا تشبيه المعقول بالمحسوس، ويشبه شقاؤه في إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه في حالة طرده وضربه، وهذا يعتبر تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدد، أما الخاصية الثانية فتتمثل في المقارنة بين المعاني المتعارضة، بحيث نجد أن أسلوب القرآن يقوم باقتران المعاني المتعارضة في سياق واحد، لتتميز الحقائق وتنكشف المبهمات، فمثلا حيث ذكر الجنان والنعيم يذكر النيران والجحيم، فهنا يزيد في إقناع السامع[1].

فالقرآن الكريم يمثل حال أهل التوحيد والإيمان، وأهل الكفر والطغيان، بالنخلة والحنظلة، بحيث يكشف حال هذين الفريقين من حيث الراحة النفسية في هذه الحياة الدنيا، ومآلهم ومصيرهم بعد الموت، بحيث وصف المؤمن بالنخلة في شموخها في السماء وما في ذلك من رفعة القدر وعلو الشأن، كما مثل أهل الكفر والطغيان بصفة شجرة الحنظل كريهة الرائحة، خبيثة الطعم والذوق، وقبيحة المنظر، كما أنها عديمة الفائدة، فكذلك الكافر تطابق عليه هذه الصفات.

كما أن أسلوب القرآن الكريم يتصف بالتنويع في أساليب التشبيهات والأمثال ضمن الكلام المتتابع، فالتشبيه القرآني لا يتقيد بصيغة واحدة أو أسلوب معين، وما ذلك إلا اعتبار للمقام ومراعاةلدرجة القرابة بين طرفي التشبيه وقوة العلاقة بينهما، فالتنويع في عرض الأمثال يكون مرة ببناء المشبه على المشبه به ومرة أخرى بالعكس، وهذاما يسميه بعض العلماء بـ"التفنن"، وهو التنقل من فنّ إلى فنّ بطرائق الاعتراض والتنظير، والإتيان بالمترادفات، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات، وهذا الأخير كثير في القرآن، ثم الرجوع إلى المقصود[2].

---

[1]- محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية.

2- ينظر: الموقع نفسه www.mf-hamdi.net 17/11/2014

نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اِسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ17 صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ18 أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ اَلْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِاَلْكَافِرِينَ19 يَكَادُ اَلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمَ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ20﴾، (سورة البقرة، الآية: 17-20).يظهر التنقل والتفنن هنا مناسبان بين المنتقل منه والمنتقل إليه، بحيث لا يشعر سامعه وقارئه بانتقاله إلا عند حصوله، كما يتصف أسلوب القرآن بالابتكار والابتعاد عن التكرار للتشبيهات المستعملة في أقوال الشعراء والأدباء، فأكثر الأمثلة القرآنية هي إبداع قرآني خالص.

ب-الجماليات المتعلقة بمقاصد التمثيل:

-إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه:

وذلك بأن يُلبس المعنوي ثوب المحسوس[1]، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الضَّمْآنُ مَاءً حَتَى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ اَلْحِسَابِ﴾(سورة النور، الآية 39).

فهنا أخرج ما لا يحس من حال أعمال الكفار إلى ما يحس من حال السراب الذي يزول إذا ما قصده طالبه، والمعنى الذي يجمعهما هو بطلان المتوهم من شدة الحاجة.

-إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة:

ومعنى هذا أن يمثل حال الأمر النادر الحدوث بحال ما اعتاد الناس وقوعه[2]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، (سورة يونس، الآية 24).ففي هذا التشبيه تصوير لقيمة هذه الحياة وتمثيل لحقيقتها، وهنا بيان لما جرت به العادة من حال الزينة والبهجة والاطمئنان، ثم الهلاك والخراب، فكذلك حال الناس وهذه الحياة

[1]- ينظر، محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية.

[2]- الموقع نفسه.

الدنيا أي أن الانسان مهما عيشه في اطمئنان و سعادة إلا أن نهايته محتومة و هي الموت كذلك حال الحياة فنهايتها الفناء.

-إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها:

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الجَوَارِي المُنْشَآتِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلاَمِ﴾،(سورة الرحمان، الآية 24).

فهذا التشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له القوة فيها، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها، وقطع الأقطار البعيدة فيها، فالله سبحانه و تعالى سخر كل شيئ في الحياة من جبال و بحار....إلخ لينتفع بها الانسان و لا أحد يقدر على تسخيرها إلا الخالق العظيم.

-إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها من المعقولات والمدركات:

ويشبه هذا المعلوم المعقول عند الفطن النبيه السفينة بما لا تستوعبه عقولهم، وما يمكن إدراكه من البعض دون البعض الآخر أي أن هناك بعض أشخاص يمكن لهم ادراك شيئ ما و البعض الاخر لا يمكنهم ادراكها و ذلك لجهلهم بها[1]، نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِين حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ واللهُ لاَ يهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(سورة الجمعة، الآية 5).فهنا مشهد الحمار الذي يحمل أسفارا لا يعلم ما بها ويتعب في حملها دون معرفته بما فيها من منافع ، فشبه به حال اليهود الذين يحملون التوراة، والجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول، وعدم الانتفاع بما فيه.

[1]- ينظر: محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية www.mf-hamdi.net 17/11/2014

5-أهمية التمثيل وقيمته:

تتمثل أهميته في كونه يرد في سياقات بعضها ويقوم بتوحيد العلاقة بين الطرفين نظرا لعمق هذه العلاقة وإمحاء الفوارق بينهما[1].

ففي المثال التالي (القناعة كنز) لا تتحسس بوجود فارق بين الكنز الذي لايفنى وبين القناعة التي تمثل وتجسد (الكنز) حقا بصفة أن من يملك كنزا لانقاد له يصبح عرضه للقلق والمخاوف من الفقر، كذلك فإن القانع لا يصبح عرضه للقلق والمخاوف لان قناعته هي كنز في داخل نفسه لا يجعله بحاجة إلى البحث عن المال. ومن هنا جاء المسوغ جعل القناعة تمثيلا للكنز لا تشبيها به في هذا النمط من التركيب.

وأما المسوغ الأخر للتمثيل فهو في قول: الجهاد باب من أبواب الجنة فنجدها هنا أنه ليس من أجل توحيد العلاقة بين الطرفين، بل جعل أحدهما واسطة أو طريقا إلى الآخر.

ويمكن أن نتحدث عن قيمة التمثيل وفضله في قول العلامة أبي السعود العمادي ت (982 هـ) «التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل، واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامع الأدبي كيف لا؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف»[2].

ومن أجمع ما قيل في شرف التمثيل ومكانته في إيصال المعنى إلى القلب كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في أسرار بلاغته إذ يقول: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية التي صورته كساها أبهة وكسبها منبثقة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قوامها في تحريك النفوس

---

[1]-محمد الفاتح حمدي، جمالات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية www.mf-hamdi.net 17/11/2014.

[2]- محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، www.mf-hamdi.net 17/11/2014

لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صيابة وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا»[1].

ومما ورد خصوصا في فضله على غيره من صيغ التشبيه الأخرى، قول الأستاذ أحمد الهاشمي بك ت (1362م):« تشبيه التمثيل أبلغ من غيره لما في وجهة من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق، وهو أعظم أثر في المعاني، يرفع قدرها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحا كان أوقع أو ذما كان أوجع أو برهانا كان أسطع ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه»[2].

ومن هنا نستنتج أن التمثيل رغم أهميته وقيمته وفضله إلا أنه مصطلح قديم، وهو أنه لم يكن استعمال دقيق في صور مخصوصة،بل كان عاما شاملا لكثير من الألوان البيانية كالاستعارة والتشبيه وغيرها.

[1] – محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية.

[2] –الموقع نفسه،

. 17/11/2014www.mf-hamdi.net

خلاصة القول:

هذا هو مبحث التمثيل الذي يعد واحد من أهم مباحث البيان، لما له من دور بارز في الاستدلال على روعة النص وجماله وماله من قدم راسخة في تفهم النصوص العربية شعرا ونثرا وقديما وحديثا.

وقد شغل هذا المبحث سائر العلماء ومؤلفي البلاغة العربية عبر العصور، إلا أنهم اعتمدوا في معظم تحليلاتهم وتناولاتهم على شواهد مكررة تكاد تكون في معظمها نماذج ثابتة لا تتغير، مما أدى إلى إعلاء أصوات من الدارسين المحدثين، تهدف بعقم البلاغة العربية القديمة وتنادي بالالتفات إليها وإن كانت هذه الأصوات على حق في بعض ما تنادي، إلا أنه من الإنصاف أن نسند للبلاغة العربية بوجه عام ريادتها في التنظير والتعقيد وقدرة مؤلفيها عبر العصور على التحليل الشائع والعرض الفاصح للنصوص العربية وبيانها في كثير من الأحيان.

خاتمة

استخلصنا مما جاء في هذا البحث ما يلي:

- ✓ أن التمثيل مصطلح قديم عريق غير أنه لم يكن ذا استعمال دقيق في صور مخصوصة بل كان عاما شاملا لكثير من الألوان البيانية، كالاستعارة والتشبيه وغيرها.
- ✓ وكانت بداية استقلال هذا المصطلح بذاته، واتضاح أصوله وقواعده مع شيخ البلاغة وفارسها عبد القاهر الجرجاني، بحيث قام بتحديد مفهومه، كما فرق بينه وبين التشبيه والاستعارة، بحيث جعل التشبيه أعم أما التمثيل فهو خص منه.
- ✓ كما اختلفت آراء العلماء البلاغين حول مفهوم هذا الفن، فهناك من يرى أن التمثيل هو التشبيه في حد ذاته والبعض الأخر يرون عكس ذلك أي أن له مفهومه الخاص.
- ✓ أن بين التشبيه والتمثيل اتفاق واختلاف، لأن كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل، فالتشبيه خاص بما كان طرفاه (المشبه والمشبه به) مفردين ولو كان مثنى أو جمعا، وكذلك وجه الشبه يكون في التشبيه مفردا ، يعنى أمرا واحدا وإن تعدد وجه الشبه، أما التمثيل فيشترط في طرفيه أن يكونا مركبين من عنصرين فأكثر، وكذلك وجه الشبه لابد أن يكون فيه مركبين من عنصرين فأكثر، وهذا هو موضع إجماع بين علماء البيان.
- ✓ أن الجرجاني تحدث وبالرغم أنه من العلماء القدامى عن بعض ملامح التجديد لهذا اللون البلاغي في "نظرية النظم" وإبراز القيمة الجمالية التي يحملها هذا اللون البياني بحيث ركز عبد القاهر فيه على دور المتلقي في الإبداع في التصوير الذي يجلبه التمثيل وما يحمله من صور بديعية.
- ✓ أن التمثيل في القرآن الكريم يتصف بمجموعة من الخصائص الفنية التي لا توجد في غيره من الأعمال الأدبية الأخرى وهو بهذه الخصائص يعد من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم.

- ✓ إن التمثيل يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار التي لا توجد في غيره من فنون البيان العربي
- ✓ ونخلص إلى الحديث أن التمثيل يقوم برفع الحجاب على المعقولات الخفية التي لا تستوعب الصور كما هي ويجعلها تستوعب ذلك بصورة أحسن كما أنه يسهل في إيصال المعنى إلى القلب والتأثير في النفوس وكما قيل في فضل التمثيل على غيره من صيغ التشبيه الأخرى أنه أبلغ من غيره وأعظم أثرا في المعاني.
- ✓ إن هذا الفن يتطور منذ ظهوره إلى الآن حتى أصبح رافدا من روافد الدراسات البلاغية التي اهتمت بالتحليل البلاغي كما أنها فتحت آفاقا واسعة في ميادين مختلفة ولذلك نرى أنه من الضروري أن يعمق البحث في هذا الفن وتعطي له الأهمية الحقيقية التي يستحقه.

وأخيرا نتمنى أن تتاح فرصة أخرى للتعمق والتوسع أكثر في الموضوع في دراسات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر و**المراجع**:

1. القرآن الكريم
2. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (علم البيان) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
3. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991.
4. إنعام فوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1999م.
5. ابن عبد الله شعيب، البلاغة العربية الواضحة، علم البيان، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت.
6. ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1412هـ-1992م.
7. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، (400هـ/ 471هـ)، مؤسس علم البلاغة.
8. بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة في تطور الفكر البلاغي عن العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى،ط7، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، الرياض، د.ت.
9. بسيوني عبد الفتاح فيود، كتاب دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1419 هـ-1991.
10. السيد محمود شيخون، الإيضاح في التمثيل البلاغي، د ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1427هـ-2006.
11. الشارف لطروش، المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف رقم أمر، الكتاب للنشر والتوزيع، رقم الإيداع 277، 2010.
12. محمد شادي، أساليب البيان والصورة القرآنية، ط1، دار والي الإسلامية.

13. محمد عبد الله أبو الرب وعبد العزيز موسى درويش، القيم التربوية والجمالية في مفهوم التمثيل عند الجرجاني جامعة البلقاء التطبيقية، كلية الأميرة علية الجامعية، مجلة بحوث علمية التربية النوعية، جامعة المنصورة د ط، 2011.
14. محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني ط3، 1993/1413، مكتبة وهبة القاهرة.
15. نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، رسالة ماجستير إشراف محمود صيام، 2006.

المواقع الإلكترونية:

Http// revues –univ– ouargla.dz,
محمد الفاتح حمدي، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم. www.mf–hamdi.net وسماته البلاغية

الفهرس

مقدمة..... 1

الفصل الأول

التمثيل في البلاغة العربية

I-مفهوم التمثيل..... 5
1-لغة 5
2- اصطلاحا 6

II-التمثيل عند علماء البلاغة:..... 7
1- ابن المقفع..... 7
1-1-التمثيل ودوره في أداء المعاني عند ابن المقفع 7
1-2-دور التمثيل في أداء المعاني عند ابن المقفع.....10
1-3-ضروب التمثيل عند ابن المقفع 11
1-4-خصائص تمثيل ابن المقفع.....17

2-عبد القاهر الجرجاني.....17
2-1- مراتب التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني 22
2-2-الفرق بين الاستعارة والتمثيل 25
2-3- مواقع التمثيل وأسباب تأثيره.....26
2-4- أسباب تأثير التمثيل.....31
2-5-بوادر التجديد عند عبد القاهر الجرجاني في البحث البلاغي: 32
أ-القيمة الجمالية للتمثيل 33
ب-معالم تربوية في تحليل الجرجاني للتمثيل 37

3-عند الزمخشري 39

4- عند السكاكي 40

5-عند القزويني 41

III-الفرق بين الاستعارة والتمثيل 42

IV-الموازنة بين هذه الآراء 43

الفصل الثاني

التمثيل في القرآن الكريم

1-التمثيل في القرآن 48

2-أسرار التمثيل في القرآن 49

3- خصائص التمثيل في القرآن 50

4-مفهوم الجمال البلاغي 52

-أصناف جماليات التمثيل الواردة في القرآن الكريم 52

أ- الجماليات المتعلقة بالأساليب 52

ب-الجماليات المتعلقة بمقاصد التمثيل 54

5-أهمية التمثيل وقيمته 56

خاتمة 59

قائمة المصادر والمراجع 62

الفهرس 65